

قراءة في مفهوم الشباب

يطرح مفهوم الشباب إشكالية علمية كبيرة تواجه البحوث والدراسات التربوية التي تبحث في أوضاع هذه الفئة الاجتماعية. وتأتي هذه الإشكالية انعكاساً للتنوع الكبير في دلالات المفهوم بين البلدان وفي مجال الاستخدام المتنوع الذي يتبدى في الدراسات والبحوث الجارية في ميدان الشباب. إذ غالباً ما يشار إلى فئات عمرية مختلفة في تحديد هذه الشريحة الاجتماعية وذلك يتباين في إطار البلد الواحد ويتنافر إلى حد كبير بين المجتمعات الإنسانية المختلفة.

ويمكن الإشارة في هذا الخصوص إلى الجهود الكبيرة التي بذلت في السنوات الأخيرة لبناء المؤشرات الاصطلاحية للفئة الشبابية في العالم. وقد تزامنت هذه الجهود من باحثين منفردين إلى مستوى المؤسسات والمعاهد العلمية المختلفة بما في ذلك مؤسسات اليونيسكو والمؤسسات القومية والوطنية.

بينت الدراسات التي أعدت من قبل الأمانة العامة لليونيسكو - وذلك من أجل التحضير للمؤتمر الخاص بإعداد نظام المؤشرات الشبابية في كولومبو 1983 م - أنه لا يوجد حد أدنى من التوافق الدولي حول مفهوم الشبيبة. وتعود المشكلة بالدرجة الأولى إلى مسألة تحديد الفئة العمرية التي تتغير من بلد لآخر في العالم. ففي آسيا على سبيل المثال نجد ما يلي:

ينتسب إلى الشباب في تايلاند جميع الأفراد الذين يقعون في الفئة العمرية من سنة حتى 25 سنة، أما في الفلبين فمن 15 إلى 25 سنة وأما في بنغلادش فمن 15 إلى 30 سنة، وفي حين أن هذه الفئة العمرية تتحدد في الهند من 15 إلى 35 سنة، وفي الباكستان من 10 إلى 24 سنة.

إن النظر إلى الشباب كفئة عمرية متجانسة ينطوي على بعض المفارقات بالنسبة للأجيال الجديدة، حيث تتباين هذه الأجيال إحداها عن الأخرى بتباين الشروط الاجتماعية التي تحيط بهم وخاصة منظومة التوجهات الاجتماعية والقيمية السائدة. وتتمايز أيضاً بتمايز التجارب الاجتماعية التي تؤديها.

ومن جديد احتضن المؤتمر العالمي للشباب - الذي عقد في برشلونة عام 1985م وذلك في إطار العام الدولي للشباب - هذه المسألة وبينت اللجنة المخصصة لدراسة مؤشرات الشباب أن مفهوم الشباب يعاني من القصور ويشكل مسار فهم مختلف يتباين باختلاف المكان والزمان واختلاف الشروط الثقافية في كل مرحلة تاريخية .

ومع ذلك فإن أغلب الباحثين (بما فيهم خبراء اليونيسكو) يميلون إلى الاعتقاد بأن الفئة العمرية الشبابية هي الفئة التي تقع بين الخامسة عشرة والرابعة والعشرين من العمر . وذلك من شأنه أن يمهّد لعملية جمع المعطيات الإحصائية الثقافية الخاصة بالشباب واحتياجاتهم ومشكلاتهم .

وفي هذا الصدد يعلن الباحثان الألمانيان ليسنغ وليبيج أن مفهوم الشباب مفهوم إنشائي ذهني خالص . ويرى السوسيولوجي هارتمان أن الشباب يشكلون قوة حيوية في المجتمع وأن شروط الحياة وطبيعة المشكلات التي يواجهونها تجعل منهم شريحة اجتماعية يمكن مقارنتها بأية شريحة اجتماعية أخرى . ويرجع هارتمان التجانس الذي يتميز به الشباب إلى تأثير القوى الاجتماعية التي تجعل منهم شرائح اجتماعية متميزة وذلك في مختلف البلدان وفي مختلف مراحل التطور التاريخي .

لقد حاول السوسيولوجي الروماني ماهلير معالجة إشكالية مفهوم الشباب عبر دراسته لاتجاهات الباحثين نحو الشباب ودور الشباب في الحياة المعاصرة وبين أن هناك مفارقات كبيرة بين الباحثين في تحديد مفهوم الشباب وأن هناك عدة معايير ينطلق منها لتعيين حدود هذا المفهوم . فبعض الباحثين يرى أن الشباب يمتلك ذاتاً تاريخية فاعلة وقادرة على مباشرة الفعل السياسي المستقل وبالتعاون مع بعض القوى السياسية وأن سلوك الشباب يندرج في إطار السلوك الاجتماعي في كليته وشموليته ، بينما يعتقد البعض الآخر وعلى خلاف ذلك أن الشباب لا يشكل قوة سياسية وبأن سلوكه مرهون بخصوصيات بيونفسية وأنثروبولوجية متعلقة بالعمر والبنية الجسدية .

فالشباب نتاج لكل الفعاليات الاجتماعية السارية في المجتمع وهم في الوقت نفسه قوة حقيقية تمتلك خصوصية في الأوقات الحرجة لعملية التغير الاجتماعي. وفي هذا الصدد أكد المشاركون في الندوة الإقليمية الأوروبية عام 1994م التي نظمها المركز الأوروبي للبحث عن الفعل الاجتماعي إنه يجب أن ينظر إلى الشباب بوصفهم محصلة انفعالية تهيء الفرد للرشد الاجتماعي وأن الشباب يلعبون دوراً رئيساً في العمليات الاجتماعية الجارية. ومن أجل إدراك تلك العمليات وجوانب الحياة الشبابية يسعى الباحثون إلى دراسة مختلف الشروط التي تحيط بحياتهم الاجتماعية وذلك على مستوى العائلة ونظام التعليم والعمل وأوقات الفراغ.

بلغ عدد الشباب العالمي، كما تشير المعطيات الإحصائية لمنظمة اليونيسكو 515 مليون عام 1960م وارتفع إلى 922 مليون عام 1984م، أي بزيادة قدرها 179% خلال هذه الفترة الزمنية. ويقدر أن يصل عدد الشباب إلى مليار ونيف في نهاية عام 2000

وتشير هذه المعطيات الإحصائية إلى الأهمية الكبيرة للشريحة الاجتماعية التي تمثلها الفئة الشابة في بلدان العالم وأقطاره المختلفة. ويضاف إلى ذلك الخصوصية الاجتماعية والثقافية التي تتميز بها هذه الفئة الاجتماعية الواسعة على المستوى العالمي.

لقد لعب الشباب وخاصة في العقود الأخيرة أدواراً سياسية بالغة الأهمية لتحقيق بعض الطموحات الاجتماعية والسياسية والثقافية. ويكفي في هذا الصدد أن نذكر التظاهرات الطلابية التي انفجرت في فرنسا وخاصة هذه التي اندلعت في عام 1986م في باريس والتي لحقتها تظاهرات أخرى في كل من روما والصين وذلك من أجل الديمقراطية التربوية ومن أجل المساواة والعدالة الاجتماعية.

وقد بلغ عدد الشباب إلى مجموع السكان في العالم العربي الحاضر ما يقارب من 50% وأن هؤلاء الشباب سيصبحون بعد فترة من الزمن قوة عاملة في

المجتمع ومن هنا فإن مشكلات الشباب تتميز بالأهمية والخطورة . "إن مستقبل الأمم كما يقول غوته مرهون بطاقات عناصرها الفتية " .

وقد أدرك الباحثون والمفكرون أهمية الظاهرة الشبابية وبدأت سلسلة من الأبحاث والدراسات المتواترة التي هدفت إلى تحليل وإدراك قانونية الظاهرة الشبابية بأبعادها الاجتماعية والتربوية والسياسية . وخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين . وبدأت المؤسسات العالمية والمنظمات الدولية تولي المسألة الشبابية أهمية خاصة وترصد لها المؤتمرات والندوات والأبحاث من أجل تحديد احتياجات هذه الشريحة الاجتماعية والعمل على إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات الشبابية التي فجرها عصر التغيرات المتسارعة . وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى الجهود الكبيرة التي بذلتها وتبذلها منظمة اليونيسكو والمنظمات والاتحادات الشبابية في أقطار العالم المختلفة .

إن للشباب في كل زمان ومكان خصائص إنسانية متشابهة سيكولوجياً وسلوكياً ودافعياً وهي تنطوي على كثير من سمات العطاء والكرم والحماسة والمروءة ، كما تنطوي في الوقت نفسه على الكثير من التسرع والتردد والقسوة والعنف .

ويواجه الشباب الذي يعيش في مجتمعات كثيرة التغير كثيراً من المشكلات التي لا يواجهها شبان المجتمعات الراكدة . إن شباننا يعيشون في عصر سريع التغير تصارعت فيه القيم واختل فيه التوازن بين الوسائل والغايات وانتشر فيه الاضطراب السياسي والقلق النفسي وفقدان الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي .

ثانياً - ثقافة الشباب:

تشكل الثقافة أداة الإنسان في مواجهة المشكلات التي تعترضه وهي بالتالي نظام مغلق من الأسئلة والأجوبة حول المآزق التي يواجهها الكائن في بيئته . وذلك يعني أن الحاجات الإنسانية تطرح نفسها على الثقافة الإنسانية وتسعى بدورها ومن خلال الثقافة إلى إيجاد استجابة تمكن الكائن من التوافق مع

معطيات الحاجات المتنامية لديه .ومن هذه الزاوية يمكن القول أن الحاجات المتجددة تنعكس في بنية الثقافة القائمة ,وعندما تنبع هذه الاحتياجات في إطار شريحة اجتماعية خاصة فإن الثقافة السائدة تولد إجابات تتميز بطابع الخصوصية .

ومن هذا المنطلق ينظر برونسلو مالىنوفسكي إلى الثقافة بوصفها " جهازاً يجعل الإنسان في وضعية أفضل لمواجهة المشاكل الملموسة الخاصة التي تواجهه في بيئته في سياق تلبية حاجاته " وفي هذا الاتجاه يعلن دانيال بل فيري أن " الثقافة هي الجهد المبذول لتقديم مجموعة متماسكة من الإجابات عن المآزق المحيرة التي تواجهها الكائنات البشرية في مجرى حياتها "وفي هذا الصدد أيضاً ينظر غوستاف فون غرينبوم إلى الثقافة بوصفها نظاماً مغلقاً من الأسئلة والأجوبة المتعلقة بالكون والسلوك الإنساني

ومن الطبيعي أن تكون الثقافة العامة للمجتمع على درجة عالية من التجانس في سماتها وملامحها .وبالتالي فإن خاصة التجانس الثقافي لا تتعارض مع خاصة التنوع الثقافي ولذلك فإن التنوع الثقافي يشير إلى وجود ثقافات متباينة في إطار الثقافة الواحدة من غير أن يعرض ذلك الوحدة الثقافية للخطر .

وفى هذا الخصوص يمكن القول أن المجتمعات الحديثة تتكون من " ثقافات فرعية ميدانية لكل منها طائفة من المعايير والقيم الخاصة بها التي ترسم أهداف الحياة لأفرادها . "وتحدد الثقافات الفرعية شأنها في ذلك شأن الثقافات العامة نمط السلوك الذي يتوجب على أفرادها وتحدد لأفرادها على المستوى القيمي ما يجب فعله وما لا يجب .

ولابد من الإشارة في هذا السياق إلى القانونية الثقافية والتي تقول بأنه كلما ازدادت درجة التطور الاجتماعي كلما ازداد التنوع الثقافي في إطار الثقافة الواحدة .وإذا كانت الثقافات البسيطة (ثقافات المجتمعات الرعوية والقبلية والزراعية) تتميز بتجانس كبير بين السمات الثقافية القائمة فإن المجتمعات الصناعية المعقدة تتميز بتنوع ثقافي يفوق حدود الوصف .فالتكامل في

المجتمعات البسيطة يأخذ - في عرف دوركهيم - صيغة التكامل الآلي بينما وعلى خلاف ذلك يأخذ في المجتمعات المعقدة والمتطورة صورة التكامل العضوي. وذلك يعني أن التنوع الثقافي لا يشير إلى الانشطار الثقافي بل يؤول إلى الغنى والثراء الثقافيين .

عندما نتوغل بعيداً داخل الثقافات التقليدية القديمة أو البدائية نجد أنفسنا إزاء ثقافات تتميز بالبساطة والتجانس والتكامل، إذ لا تعدد في مساراتها وعناصرها المكونة فنحن إزاء ثقافة واحدة بسيطة غير مركبة .

وفي إطار هذه الثقافات لا توجد هناك نماذج ثقافية أو ثقافات فرعية. فثقافة الشباب لا تختلف هنا عن ثقافة آبائهم أو عن الثقافة السائدة. ويعود ذلك إلى بساطة الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها. ففي هذه المجتمعات (سواء أكانت مجتمعات صيد، أو مجتمعات زراعية بسيطة، أو مجتمعات رعوية) فإن الشباب فيها يمثلون قيم الثقافة التقليدية السائدة ويتواجدون معها دون إحداث تغيرات عميقة في سماتها ومظاهرها .

وتبرز في المجتمعات المتطورة منظومة من الثقافات الفرعية وذلك في مستويات عديدة. ففي المستوى الاجتماعي تطالعنا ثقافات متعددة كثقافة العمال وثقافة الفلاحين وثقافة رجال الدين. وعلى المستوى المهني يمكن الحديث عن ثقافات فرعية تغطي المنظومة المهنية القائمة في المجتمع مثل ثقافة صيادي الأسماك، وسائقي السيارات والتجار والصناع وغيرهم، وفي السياق الجغرافي يمكن أن نسرد قائمة تبدأ بثقافة المدينة وثقافة البادية وثقافة الريف وثقافة الشمال وثقافة الجنوب وثقافة الداخل والساحل.

وعلى المستوى العمري يمكن لنا أن نتحدث عن ثقافة الأجيال وثقافة الأطفال وثقافة الآباء وأخيراً عن ثقافة الشباب، وهي ثقافة تتميز بدرجة عالية من الخصوصية والأهمية .

كان الشباب في المجتمعات البسيطة يجدون في ثقافتهم العامة ما يلبي احتياجاتهم وما يستجيب لمستوى طموحاتهم وأسئلتهم الوجودية وقد تم

التعبير عن ذلك في صيغة التوافق بين ثقافة الشباب والثقافة العامة وبعبارة أخرى لم تكن هناك ثقافات فرعية خاصة بالشباب ويعني ذلك بالنتيجة أن الأسئلة التي يطرحها الشباب والاحتياجات التي يطلبونها لا تختلف كثيراً عن أسئلة ومتطلبات الأجيال السابقة ومن هنا كانت الثقافة البسيطة تلعب دوراً كبيراً في تلبية احتياجات الجميع دون تخصص أو تشعب أو خصوصية .

وعلى خلاف ذلك كله بدأت الحياة الاجتماعية تطرح في الثقافات المتقدمة تساؤلات في مسار التجدد الدائم وبدأت الاحتياجات الجديدة للشباب تتزايد على نحو شاسع وبمقتضى هذا النمو الدائم للاحتياجات والأسئلة وضعت الثقافة العامة في وضعية الانشطار وأدت إلى ولادة الثقافة الفرعية للشباب في محاولة منها للاستجابة للوضعيات الجديدة دائمة الصيرورة والتجدد في القيم وفي الاحتياجات.

وهذا كله يعني أن الشباب لا يجدون في الثقافة العامة ما يلبي احتياجاتهم المتنامية وما يرشد تساؤلاتهم ولذلك يعمل على بناء ثقافة في مستوى الاستجابة للوضعيات الجديدة وهي الثقافة الفرعية للشباب والتي قد تدخل في صراعات إما سافرة أو مبطنة وإما ساخنة أو باردة , وكل ذلك في مواجهة معطيات الثقافة العامة التقليدية السائدة في المجتمع.

فلاحتياجات الشبابية الخاصة التي تطرحها طبيعة التغير الاجتماعي في عمق الشريحة الشبابية تنعكس على هيئة استجابات ثقافية خاصة وتمثل هذه الاستجابات الثقافية الفرعية للشباب وهي في هذه الصيغة منظومة من الإجابات المنظمة التي تستجيب لمنظمة من الحاجات والمشكلات التي تعترض فئة الشباب كفئة اجتماعية تتميز بالخصوصية .

وبناء على ذلك يمكن القول أن الإجابات العامة تصب في إطار الثقافة العامة بينما تتجه الإجابات الخاصة في مسارات الثقافات الفرعية المعنية .

ومن هذا المنطلق يمكن النظر إلى ثقافة الشباب بوصفها ثقافة فرعية تعبر عن طبيعة استجابات الشباب وطموحاتهم واحتياجاتهم . وهي تنطوي على

منظومة من القيم والمعايير والاتجاهات المتكاملة نسبياً التي تضرب جذورها في ذهنية الشباب وفي وجدانهم. وتشكل ثقافة الشباب بمضامينها ومنطلقاتها وقيمها إحدى المداخل الأساسية لتحليل وضعية الشباب وإدراك قضاياهم ومشكلاتهم.

وبناء على معطيات هذه الملاحظات يمكن تعريف ثقافة الشباب بأنها منظومة التساؤلات والإجابات المفتوحة المتعلقة بالكون والسلوك والحياة وأنها بالتالي تمثل الجهود الشبابية المبذولة من أجل تقديم الإجابات المناسبة لمواجهة الوضعيات الجديدة التي تواجه الشباب في عصر متغير.

وتشير ثقافة الشباب كثقافة فرعية إلى طريقة الشباب في التفكير والحياة والعمل وهي بذلك تتضمن منظومة مواقف الشباب ونظرتهم إلى الوجود ومواقفهم واتجاهاتهم نحو جوانب الحياة المختلفة، وهي ثقافة خاصة تستجيب لتطلعات مرحلة عمرية بالغة الأهمية في حياة الأجيال المتعاقبة .

وغالباً ما تكمن خصوصية الثقافة الشبابية في مجاراتها لمعطيات الاندفاعات الحضارية المعاصرة . كما تكمن هذه الخصوصية في التناظر القيمي بين ثقافة الشباب وثقافة الراشدين وفي معارضتها للقيم التقليدية القديمة . فثقافة الشباب تمثل في اتجاهاتها وتياراتها الأغصان الجديدة للثقافة الاجتماعية .

هذا وتعبر ثقافة الشباب بوصفها ثقافة فرعية عن توجهات ثقافية لشرائح الشباب الاجتماعية التي تتميز بخصوصية وتنفرد بسمات ثقافية خاصة بها . ومن هذا المنطلق تحد ثقافة الشباب لأفرادها طرقهم الخاصة في الحياة وتستجيب لاحتياجاتهم المتنامية .

إن ثقافة الشباب ليست تصغيراً أو تبسيطاً لثقافة المجتمع، وذلك لأن الشباب يوجدون في وضعية جسمية أو نفسية واجتماعية خاصة بل هي كاية ثقافة فرعية أخرى ترتبط بالثقافة العامة للمجتمع وتتلون بطابعها العام مع المحافظة على خصوصياتها وتفردها وليس بالوسع تحديد أبعاد وخصائص وثقافات الشباب في المجتمعات المختلفة لأن ثقافة الشباب في مجتمع ما تختلف عنها في

مجتمع آخر بسبب اختلاف الثقافات العامة وبسبب ما تتبعه من وسائل وأساليب لتثقيف الشباب وما تضعه من أهداف لعملية التثقيف .

يعرف السيد عبد العاطي ثقافة الشباب بقوله " إن ثقافة الشباب هيكل من القيم والاتجاهات والمعتقدات والمعايير وأنماط السلوك التي يصنعها جيل الشباب كحلول يتصورها لبعض المشاكل البنائية " .

وتعرف ثقافة الشباب أيضاً بوصفها أسلوب حياة مستقل عن عالم الكبار وهو أسلوب لا يخضع لقيمهم ومعاييرهم ومعتقداتهم وأساليب سلوكهم . ولكننا نعتقد بأن ثقافة الشباب منظومة من القيم والمعايير والاتجاهات التي تستجيب لحاجاتهم النفسية والاجتماعية وهي بذلك ليست بالضرورة في موقع التناقض مع ثقافة الراشدين كلية إذ قد توجد ثقافة الشباب دون تعارضات أو مفارقات جوهرية مع الثقافة السائدة في المجتمع .

ويعتقد كلارك " أن الثقافة الفرعية للشباب هي محاولة لإحياء ثقافة متغيرة تدخل في مفاوضات جديدة مع الثقافات السائدة أو المسيطرة كاستجابة لموقفها البنائي المتغير" .

فثقافة الشباب بوصفها ثقافة فرعية تتميز بالخصوصية ولا تتميز انطلاقاً من مبدأ المعارضة والاختلاف والتناقض .

وممكن أن نذكر هنا على سبيل المثال بأن ثقافة الفلاحين كثقافة فرعية لا توجد في حالة صراع مع الثقافة العامة للمجتمع ولا تتعارض معها بل تستجيب لحاجات الفلاحين واهتماماتهم وكذلك هو الحال بالنسبة للثقافات الفرعية الأخرى . ومن هنا يمكن القول أن الثقافة الفرعية للشباب ليست بالضرورة مناهضة لثقافة الراشدين أو للثقافة العامة ولكنها تستجيب بخاصة لحاجات الفئة العمرية الشبابية بكل اتجاهاتها ومحاورها وقد تأخذ المعارضة في ظروف معينة هيئة تعارضات جزئية ومرحلية ولا يمكن لها أن تأخذ صيغة التعارض إطلاقاً لأن الثقافة العامة السائدة في المجتمع هي في نهاية الأمر الإطار المرجعي لثقافة الشباب وأسلوب حياتهم .

وفي إطار ثقافة الشباب تتنوع استجاباتهم الثقافية وفقاً لدرجة تنوع احتياجاتهم لكل حاجة استجابة وهي استجابة تتحدد وفقاً لمعيار سلوكي أو قيم سلوكية محددة. وثقافة الشباب في هذا السياق هي منظومة قيم مترابطة متكاملة وهي بذلك تمثل ذهنية الشباب التي تتفرع أيضاً إلى منظومة من الاتجاهات وكل اتجاه إلى منظومة من الآراء والمواقف .

لقد أدت الحاجات المتنامية لجيل الشباب والتي تأتي استجابة للتطورات الاجتماعية والتكنولوجية المتسارعة إلى ولادة قيم وأنماط سلوكية شبابية لم تكن معروفة سابقاً مثل أدوات الزينة والرياضة والسيارات والموسيقا الصاخبة . ويعتقد علماء الاجتماع الوظيفيين أن ثقافة الشباب تمارس دوراً وظيفياً وأن هذه الثقافة ظهرت كرد فعل للتغيرات التي اعترت الحياة الاجتماعية والتي أفرزت مجموعة من المشكلات التي تصدت لها ثقافة الشباب .

في المجتمعات البدائية لا يوجد تباين بين القيم التي ينشأ عليها الأطفال وهذه التي تنظم حياة البالغين . فالانتقال من مرحلة الطفولة إلى المراهقة إلى الشباب والبلوغ يتم بصورة عفوية دون إشكاليات تربوية أو قيمية ، ويكتسب الأطفال مهارات البالغين بطريقة عفوية طبيعية ، ويلاحظ أيضاً أن الانتقال إلى مرحلة البلوغ مسألة طقوسية أو شعائرية وليس للشباب هنا وجود واقعي مختلف عن الكبار أو الراشدين .

إن الوظيفة التي تؤديها ثقافة الشباب كما يعتقد الوظيفيون تتمثل في تخفيف حدة التوتر المصاحبة لعملية الانتقال من الطفولة إلى الرشد وإلى البلوغ . ومن هذه الزاوية فإن الثقافة الفرعية تقدم حلاً سريعاً للتناقضات الكامنة في النسق الاجتماعي .

● ويصف مايك براك الوظائف الأساسية للثقافة الفرعية

على النحو التالي :

1- تقدم الثقافة الفرعية حلاً لبعض المشكلات الناتجة عن التناقضات الداخلية للبناء الاجتماعي وغالباً ما تكون هذه المشكلات مرتبطة بالأوضاع الطبقيّة للأجيال المختلفة .

2- تشكل الثقافة الفرعية نظاماً ثقافياً يستخلص عناصر ثقافية دون أخرى وتستخدم هذه العناصر لتطوير أو اكتساب هوية أخرى خارج الهوية الموروثة التي تحددت في إطار الأسرة أو مجال العمل .

3. تقدم الثقافة الفرعية طريقة للحياة .

4- تقدم حلولاً للتناقضات الوجودية الثقافية .

5- لما كانت فترة المراهقة هي مرحلة إعادة تشكيل فالثقافة الفرعية تشكل المصدر لإعادة التنشئة الاجتماعية أو لما يسمى بالتنشئة الاجتماعية الثانوية .
وتعمل ثقافة الشباب كما يتصور كوهين من جانبه على إيجاد الحلول للتناقضات التي لا توجد في ثقافة الآباء وخاصة التناقضات الخفية والمستعصية حتى وإن كان ذلك يتم على نحو سحري .

خصائص الشخصية الشابة

تتميز الشخصية الشابة ببعض الخصائص التي تجعلها تختلف في طبيعتها عن مراحل الشخصية السابقة واللاحقة لمرحلة الشباب ، ونعرض فيما يلي لأكثر هذه الخصائص أهمية وبروزاً .

1- يعتبر التحدد بفترة عمرية محددة من أهم الخصائص التي تميز الشخصية الشابة ، وتتحدد هذه الفترة بالمدة الكائنة بين اكتمال النضج الفسيولوجي وبداية التأهيل أو النضج الاجتماعي ، وهو النضج الذي يتحقق باحتلال الشباب لمكانة اجتماعية محددة يؤدي من خلالها دوراً أو أدواراً ترتبط بهذه المكانة .
إن التحديد الزمني لنقطتي البداية والنهاية يختلف من مجتمع إلى آخر حسب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في كل مجتمع هذا إلى جانب أن التحديد العمري للفئة الشبابية لا ينبغي أن ينفصل عن تحديد المراحل الأخرى التي يمر بها الإنسان .

وتذهب القضية الثانية إلى أن تحديد الشباب بمرحلة عمرية معينة يفرض الاهتمام بالمسألة الجيلية ، في ضوء ذلك يتميز الشباب عادة بأن لديهم نزعة

إلى الاستقلال ,ومحاولة للتخلص من الضغوط وألوان القهر المتسلطة عليهم من أجل توفير حرية التعبير عن الذات .ونتيجة لهذه النزعة إلى الاستقلال والاعتماد على الذات يتميز الشباب بأنهم أكثر راديكالية وأقل امتثالاً للسلطة المفروضة عليهم .

وتشير القضية الثالثة إلى اعتبار مرحلة الشباب مرحلة مؤقتة بطبيعتها , فسنوات الشباب معدودة في عمر الإنسان ,ومن شأن ذلك أن يكون له نتائج هامة وواضحة ,فقد تحدث فجوة بين الأجيال ,لكن من الخطأ القول بأن الفجوة بين الأجيال قد تؤدي إلى ظهور توجهات سياسية جديدة ,أو القول باحتمالية ظهور حزب سياسي يعبر عن الشباب في مقابل حزب آخر يعبر عن الفئة الأكبر سناً .ذلك يعني أن مرحلة الشباب تعتبر مرحلة مؤقتة بطبيعتها بحيث لا تشكل في ذاتها ظرفاً كافياً لتشكيل حركة سياسية دائمة .وتوجد شواهد عديدة تشير إلى أن عدم ارتباط الأفراد بالتنظيمات السياسية المستقرة في بعض الدول قد يتخذ شكل الحركات والأحزاب السياسية الجديدة المستندة إلى الروابط العرقية اللغوية والثقافية وذلك من خلال إحياء نزعات قومية مختلفة كما هو الحال بالنسبة للزنج الأمريكيين والناطقين بالفرنسية في كندا.

ومن الطبيعي أن تكون الروابط بين ذوي القومية الواحدة أقوى من تلك الروابط التي توجد بين ذوي الجيل الواحد .

ذلك يعني أنه يمكن النظر إلى الممارسة السياسية الشبابية باعتبارها الجذور الحقيقية للتوجهات السياسية والأيدولوجية للإنسان السياسي ,إحدى عمليات التنشئة أو التطبيع السياسي, حيث تتعمق في إطارها في المستقبل ,ومن ثم نجدها تشكل الإطار الذي تعرض في نطاقه كافة التوجيهات السياسية للاختيار فيما بينها وبعد حسم الاختيار فإنه يتميز بدوامه بقية سنوات العمر .

2-وتتمثل الخاصية الثانية في أن فترة الشباب تتميز عادة بالدينامية لسببين الأول يرجع إلى أن فترة الشباب عادة ما تكون هي الفترة الكائنة بين مرحلتي الإعداد والقيام بدور فعال في بناء المجتمع ,ولذلك فغالباً ما تتميز ملامح

الشخصية في هذه المرحلة بالغموض ,لأنها ما زالت في مرحلة التشكل ,وهذا هو السبب في امتلاء هذه المرحلة بتفاعلات متوترة وقلقة لأنها تسعى وراء الاستقلال وشغل الدور بعد انتهاء الاكتمال والتدريب وممارسته .

أما السبب الثاني لدينامية هذه المرحلة فيرجع لطبيعة التكوين البيولوجي والفسيولوجي والوضع الاجتماعي للشخصية الشابة .إذ نجدها تكون عادة حساسة لكل ما هو جديد لأنها لم تستقر بعد ذلك من شأنه أن يجعلها في شوق دائم للتغير وهو ما يطلق عليه في ظروف تاريخية معينة بالحاجة الدائمة إلى الثورة .

3-وتشكل القابلية للتشكل الخاصة الثالثة للشخصية الشابة ويتضح ذلك إذا حددنا مكونات الشخصية الإنسانية من خلال أربعة عناصر رئيسية ,العنصر البيولوجي الذي تولد به الشخصية الإنسانية ,والعنصر السيكلوجي الذي يكون عادة نتاجاً لتفاعل العنصر البيولوجي بما هو خارج عن نطاق الشخصية الإنسانية حول محول أساسي يتمثل في إشباع الحاجات البيولوجية والعنصر الاجتماعي الذي يشير إلى طبيعة المكانة التي يحتلها الشاب وأيضاً طبيعة الأدوار الاجتماعية التي يؤديها في المجال الاجتماعي والتي تشير إلى أعمال الطاقة الشابة في المجال الاجتماعي والعنصر الأيديولوجي أو الثقافي وهو العنصر الذي يشير إلى امتلاك الشخصية لمجموعة من التوجيهات الأساسية التي تحكم سلوكها في المجال الاجتماعي

في إطار ذلك نجد أن عملية التشكيل تسير حسب عدة مستويات رئيسية أولها أن الشخصية لها على كل عنصر من هذه العناصر عدة حاجات أساسية تتطلب الإشباع ,ومن ثم فتحقق الإشباع أو الحرمان منه سوف يكون له تأثيره على بنية الشخصية وطبيعة سلوكها المستقبلي ,والثاني أن نتاج التفاعل بين العناصر المشكلة للشخصية الشابة هو الذي سوف يكون له تأثيره على طبيعة علاقة الشخصية الشابة بعالمها الخارجي ,والثالث أنه بالنسبة للعنصرين الاجتماعي والأيديولوجي نجد أن الشخصية الشابة تجري اختياراً بشأنهما بين بدائل

عديدة ,فمن الناحية الاجتماعية يمارس الشاب اختيار المهنة ورفيق الزواج , وطبيعة الحياة والسلوكيات الاجتماعية ومن الناحية الأيديولوجية نجد أن الشخصية الشابة تمارس اختيار بين أي من الأيديولوجيات المطروحة على الساحة السياسية .

غير أن هذه القضية الرئيسية في هذا الصدد تتمثل في أن تفاعل هذه الأبعاد الأربعة يؤدي عادة إلى إنتاج أنماط أو أشكال عديدة للشخصية التي تظل بقية حياتها محكومة بطبيعة الامتزاج والتفاعل الذي تم بين مختلف العناصر. هذا إلى جانب أن عملية التشكل هذه تكون في الغالب خاضعة لخاصية الانجذاب نحو المواقف المتطرفة ,فالشخص المحروم بيولوجياً وسيكولوجياً واجتماعياً قد يميل إلى تبني أيديولوجيات متطرفة ,وكذلك قد تنتمي الشخصية الشابة ذات التوجه الأيديولوجي اليساري إلى الطبقة العاملة أو الشريحة الدنيا للطبقة الوسطى غير أن ذلك لا يمنع أن يكون لها أحياناً انتماءها للطبقات العليا وتتمثل السمة الرئيسية المرتبطة بهذه الخاصية في أن هذه المرحلة تسودها عادة مشكلات التشكيل ,كالقلق والتوتر والانفعال والخوف وعدم التحدد ,وكلها مظاهر تشير إلى الثراء الانفعالي الذي تتمتع به هذه الشريحة خلال مرحلة التشكل هذه .

4-ويشكل انتشار مشاعر القلق والتوتر الخاصية الرابعة للشخصية الشابة , ويرجع ذلك لعوامل عديدة أولها قلق الشباب وتوتره الذي يرجع لطبيعة المرحلة التي يتخطاها بين الإعداد للدور والقيام به وما يصاحب ذلك من اختيارات قد تفرض عليه ولا تلائمه أو يطلبها وقد لا تواتيه .

العامل الثاني يتمثل في الهوية الكائنة بين النضج الفسيولوجي والنضج الاجتماعي أساس الأهلية للانتماء الاجتماعي بمعنى أنه في فترات سابقة كان الإنسان بمجرد أن ينضج فسيولوجياً يمارس دوره الاجتماعي وبالتالي لا توجد هوة ومن ثم لا يكون هناك تمزق لأن المشكلة تحل عادة بمجرد حدوث النضج الفسيولوجي للرجل أو المرأة ,أما في المجتمع الحديث فالوضع يختلف وذلك لأن حجم المعلومات التي تتيح الانتماء الاجتماعي للشباب ضخمة ,ومن ثم فإن فترة

الإعداد والتكوين تطول ومن هنا تنخلق الفجوة بين نضجه الفسيولوجي واعتراف المجتمع به كمواطن مستقل وله دور اجتماعي يؤديه دون مشاكل , وهذا يفسر لنا لماذا توجد أزمة الشباب في شريحة معينة هي الشريحة المثقفة أو البرجوازية .الشاهد على ذلك أن أحداث1968 م وما بعدها في جميع أنحاء العالم فجرها الشباب المثقف أساساً

أما العامل الثالث الذي يؤكد خاصية القلق لهذه الفئة العمرية فيتمثل في أن الشباب على خلاف الشيوخ (آرق أفئدة) فهم حساسون ,سريعو الاستجابة بالرفض لأن روابطهم ضعيفة بالأوضاع القائمة وهم في ذلك على خلاف الشيوخ الذين ألفوا الأوضاع السائدة ,ومن ثم يصعب عليهم رفضها أو الخروج عليها ,بل ينصب رفض الشيوخ في الغالب على المتغيرات التي تستجد على أوضاع ألفوها ,وهم في ذلك على عكس الشباب تماماً الذين دأبوا على رفض المتغيرات المستقرة والمألوفة .

5-وتشكل الطبيعة التجديدية الخاصة الخامسة التي تتصف بها الشخصية الشابة فهم غالباً المجددون في التاريخ ونتفق في ذلك مع باتمان الذي أكد على دور الشباب المثقف كقوة كاسحة ومبادرة لتجديد المجتمع .
ليس جديداً علينا أن نتذكر أن ماركس ولينين وفيدل كاسترو كانوا قبل كل شيء من ضمن المثقفين الشباب وليس العمال اليدويين .

ذلك يخلق إحساساً يتعلق بالموقف الدينامي للشباب عبر التاريخ ,وفي هذا الصدد نجدهم – أي الشباب -يواجهون مشكلتين الأولى اهتمامهم بقضية المستقبل في إطار تفاعلهم مع الشيوخ ,فإذا كان الماضي والحاضر هو نطاق الشيوخ ومحط تجسيد آمالهم فإن المستقبل هو محط أنظار وآمال الشباب ,غير أن المستقبل تتحدد ملامحه في الحاضر من هنا يصبح الخلاف حاداً حول بعض الممارسات التي يؤسسها الشيوخ والتي تمس بالأساس المستقبل الشبابي ,وهنا يصبح الشباب قلقاً بشأن المستقبل ,وما قد يرثه من أوضاع الحاضر وانحرافاته باعتبار كونها متغيرات مؤثرة على المستقبل. بحيث يتجسد ذلك في تساؤلين

رئيسيين من الذي له حق صناعة المستقبل ؟ أو بالأصح إلى أين نحن ذاهبون؟ ذلك يفرض تأكيداً على ضرورة المشاركة الإيجابية الفعالة في صياغة الحاضر من قبل الشباب ,لأن في صياغة الحاضر تحديداً لملاحم المستقبل ولأن المشاركة في الحاضر ضماناً من ألا ينفرد الشيوخ بصياغة المستقبل .

بىد أنه قد تثور في هذا المجال قضية خلافية ,هل حقاً لدى كل الشباب إيمان بالمستقبل؟ هل هذا الإيمان متجانس في ملامحه بين مختلف الفئات الشبابية ؟ ما نلاحظه اختلاف تصور المستقبل بين مختلف الفئات الشبابية , فالمستقبل الذي قد يتصوره الفلاحين يختلف عن المستقبل الذي قد يتصوره العمال أو الذي يتصوره المثقفون الطلبة ,غير أننا قد لا نتفق مع ذلك لأن المواقع الطبقيّة أو الفئويّة مواقع تستند بالأساس إلى المصالح الأنانية ,وهي مشاعر تتناقض مع رومانسية الشباب ومثاليته وطهارته الأوقع أن يمتلك الشباب تصوراً مستقبلياً واحداً غير أنه إذا كانت ثمة خلافات فإنها تدور حول مدى إدراك تفاصيل المستقبل ,وذلك يتوقف على حجم الاستيعاب الثقافي للشباب ووعيه إضافة إلى أن الارتباط بالمستقبل يستند إلى مدى تفكك الروابط مع الحاضر .

وتتعلق القضية الثانية بموقف الشباب من المستقبل ,حيث يقف الشباب - على ما يذهب راندولف بورن في مقاله عن الشباب والحياة -موقف وجودياً قلقاً , يعبر في إطاره عن إحساسه بزيادة التناقض بين الاحتمالات المتجددة للسعادة الإنسانية من ناحية وبين التهديد بالحروب التدميرية من ناحية أخرى ,ويبدو هذا التناقض أوضح ما يكون الآن ذلك أن إنجازاتنا التكنولوجية قد تخلق عن اليوتوبيا طابعها الخيالي كما أشار هربرت ماركيز إلى ذلك في الوقت الذي تجعل فيه الدمار الشامل أمراً ممكناً .وقد عبر الشباب من خلال الحركة الطلابية عن إحساسهم العميق بهذا التناقض بحيث بدا ذلك واضحاً تماماً في شعاراتهم التي تطالب بممارسة الحب لا شن الحرب .

خلاصة القول أن لدى الشباب اهتمام ضروري بالمستقبل لأن مصالحهم في إطاره، ومن ثم يتبدى قلقه بشأن ما قد يؤثر في الحاضر على المستقبل، أو بشأن عناصر الحاضر المتناقضة والتي قد تؤدي تدمير المستقبل .

6- أن لدى الشباب إيماناً كاملاً بالتغير وهو الأمر الذي يعد سمة أساسية في البنية الشبابية، وإذا كان هيجل قد قال بجدل الأفكار المتعالي وإذا كان ماركس قد قال بجدل التفاعل المادي، فإننا يمكننا أن نتحدث قياساً عن مقولة جدل البشر عبر حركة التاريخ هذا الجدل الذي يشكل الشباب عنصر الدينامية في إطاره، فإذا قلنا أن لدى الشباب اهتماماً بالتغيير فإن السؤال الذي قد يثور وما هي الشواهد الدالة على ذلك؟ في إطار ذلك نذكر عدة شواهد الشاهد الأول يتمثل في وجود ميل قوي لدى الشريحة الشبابية لتجاوز الواقع المحيط دائماً بالنظر إلى مثال يتمسك به أعضاؤها فهي تميل إلى تجاوز ما هو كائن انطلاقاً إلى ما ينبغي أن يكون . من هنا يصبح إيمان الشباب بالتغير ظاهرة موضوعية ومطلوبة، يدعم أنهم أقل ارتباطاً بالواقع القائم وأكثر إمكانية على استيعاب المتغيرات المتجددة.

أما الشاهد الثاني فيشير إلى أن ما هو كائن هو ناقص من وجهة نظرهم وقد يصبح النقص أكثر وضوحاً حينما يتعايش مع تفككاً واضحاً للسلطة التقليدية في المجتمع تحت وطأة التحديث ومن ثم تصبح البنية التقليدية غير ملائمة ومن شأن ذلك أن يفرض الانتقال إلى بنية جديدة، غير أن ذلك إن صدق في المجتمعات الزراعية أو البدوية فإنه قد لا يصدق بنفس القدر على المجتمعات المتقدمة التي تسودها بنية حديثة وثقافة حديثة أيضاً، غير أننا قد نؤكد في هذه الحالة على دور الشباب في مقاومة السلطة التقليدية للكبار، باعتبار أن تفكيك سلطة الكبار يعد عاملاً أساسياً في إحداث التغير الاجتماعي .

وبين الواقع الناقص أو التقليدي الذي يسيطر عليه الكبار من ناحية، وبين المثال الذي يؤمن به الشباب من ناحية أخرى تظهر الشريحة الشبابية - خاصة الواعية - باعتبارها آلية التحول أو الانتقال نحو ما ينبغي أن يكون حيث تغيير

الواقع حسب المثال تجسيدا للمستقبل, الذي هو المحصلة النهائية لذلك .
ويعني ذلك أن هناك قناعة أساسية ترى أن الشباب هم أكثر الفئات رغبة في
التجديد وتطلعا إلى تقبل الحديث من الأفكار والتجارب ,ولذلك فإنهم يمثلون
مصدراً أساسياً من مصادر التغير في المجتمع على أنه من الضروري أن نأخذ في
الاعتبار كيفية استيعاب النظام القائم لهذه الرغبة في التجديد دون تناقضات
أو صراعات حادة .

7-وتشير الخاصية السابعة إلى وجود ثقافة شبابية تسود بين الشريحة
الشبابية وبخاصة شباب الجامعات بحيث ساعد على تخليق هذه الثقافة عدة
عناصر ذات طبيعة عالمية ,منها تضخم حجم الشريحة الشبابية في العالم حيث
نجد أن الهرم السكاني في كثير من المجتمعات النامية والمتقدمة يميل لصالح
الشباب ,هذا بالإضافة إلى فاعلية عنصر التكنولوجيا في بناء النظام العالمي ,
ومن ثم في دعم تماسك وحدة الشريحة الشبابية في هذا النظام من خلال
أساليب الملبس (الجينز الأزرق) أو (موسيقى وأغاني الجاز عبر الراديو
الترانزستور وشرائط الكاسيت).

وأيضاً دور وسائل الإعلام والاتصال والمواصلات التي جعلت عالماً واحداً ,بل
إننا نجد أن تكنولوجيا الاتصال خلقت إمكانية عالية لانتقال الأفكار والقيم من
مجتمع إلى آخر ,ومن شأن ذلك أن يجعل الشباب - بحكم قدرتهم على التجديد
- أكثر قدرة على الاستيعاب والتواصل.

ويناقش عالم الاجتماع الفرنسي ألان تورين واقعية وجود وعي طلابي وذلك
بالنظر إلى توفر شرطين ,ويتمثل الأول في الادعاء بأن الحركة الطلابية هي
حركة مستقلة لها أهدافها وآلياتها الخاصة ,والثاني يتمثل في تركيزها داخل
مجتمع الجامعة ذاتها.

هذا الوعي يشبه في كثير من الوجوه (الوعي الطبقي) لدى البروليتاريا
الصناعية خلال القرن التاسع عشر وقد ذهب تورين إلى القول بوجود تماثل واضح
بين الطلاب والعمال في الجامعات الفرنسية كبيرة الحجم - وفي جامعة نانثير

المعزولة اجتماعياً - حيث نجد أن الطلاب قد أصبحوا يشكلون جماعة متميزة تشبه في بعض الوجوه العمال الصناعيين في المصانع الرأسمالية المبكرة، فضلاً عن وجود تشابه بين المعتقدات التي يؤمن بها الطلبة الآن والتصورات اليوتوبية التي آمن بها الاشتراكيون الأوائل ،ويواصل تورين وجهة نظره بقوله أن الجماعات في كل الدول المتقدمة تكنولوجياً قد أصبحت إحدى (القوى الأساسية في عملية الإنتاج) بحيث يمكن القول - في ضوء هذا التصور شبه الماركسي - أن الطلاب قد ورثوا الدور الذي كان ينبغي أن تلعبه البروليتاريا وباستطاعتنا أن نجد أفكاراً مماثلة -ولكن من منظور مختلف - لدى هربرت ماركيز الذي تأثر إلى حد كبير برايت ميلز في تأكيده أن الطبقة العاملة الصناعية - وخاصة في مجتمع الاستهلاك والوفرة كمجتمع الولايات المتحدة - قد فقدت رغبتها قدرتها على إحداث تغيرات راديكالية وأن دورها الثوري القديم قد وقع الآن على كاهل المثقفين الشباب الذين يمثلون عموماً طلبة الجامعات وفي مثال حديث يحاول ماركيز توضيح وجهة نظره قائلاً (أنه لا يعتقد بأن الحركة الطلابية المعاصرة تمثل قوة ثورية ولكنها (أي الحركة) تعد عنصراً - داخل المجتمع الأمريكي - قد يتحول إلى قوة ثورية بالتحالف مع الجامعات المسحوقة وخاصة الزنوج)

هذا الوعي يستند إلى ثقافة يمكن أن نسميها بثقافة الشباب ،وهي ثقافة تشير إلى مجموعة التوجيهات القيمية والأساليب السلوكية التي تتجسد في أنظمة علاقات اجتماعية وأنساق للاعتقاد ،تتبلور حول حاجات الشباب ووضعهم في المجتمع وإحساسهم بمشكلاته بحيث تضم هذه الثقافة في مستوياتها الإدراكية والتقويمية والوجدانية أطراً قيمية وفكرية ومشاعرية لتوجيه السلوك الشبابي في هذا الإطار يمكننا التأكيد على أن ثقافة أو وعيهم يدور حول عدة محاور رئيسية .

فهذه الثقافة تشكل من ناحية ثقافة فرعية على البعد العمري بمعنى أنها ترضى بقيم ومعايير تختلف إلى حد كبير عن قيم ومعايير الآباء ومن ثم فهي ثقافة تدور عادة حول الجديد وترفض القديم ،ثم إنها ثقافة تتطلع عادة إلى المستقبل ولا تحاول أو تعمق جذورها أو مرتكزاتها في الحاضر

ويتمثل المحور الثاني في ثقافة الشباب تميل عادة إلى رفع شعارات ذات طابع راديكالي كرفض التسلط والوصاية والسلطة ,وذلك في مقابل التطلع إلى الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية والديمقراطية ومن ثم فنحن نجد أن ثقافة الشباب - بغض النظر عن انتمائها الوطني - يكون لها عادة موقفاً من القضايا ذات الطابع الإنساني ,كالوقوف إلى جانب الفئات الفقيرة أو المهضومة الحقوق داخل المجتمعات المتقدمة أو الوقوف إلى جانب شعوب المستعمرات ضد استغلالها ,هذا إلى جانب دعم قضايا التحرير على نطاق عالمي كما حدث في التنديد بالحرب الفيتنامية وما إلى ذلك

ويدور المحور الثالث في هذه الثقافة حول الحاجات الشبابية بالأساس حيث يتحدد موقفها من هذا العالم على مدى إشباعه لهذه الحاجات أو فرض الحرمان عليها - فاستناداً إلى ذلك تتم الإدانة أو المباركة - ,وفي هذا الصدد نلاحظ أن ثمة صيغة عالمية واحدة فيما يتعلق ببعض الممارسات الثقافية التي تنتشر عبر الأوساط الشبابية بشكل متجانس وسريع خلال فترة تاريخية وجيزة .

8-ويشكل الطابع النقدي الخاصية الأساسية لثقافات الشباب ومجتمعهم وإذا كنا قد أشرنا سابقاً إلى رومانسية الشباب وإيمانهم الطاهر بالمثل فإن من المنطقي أن يستتبع ذلك اتجاه الشريحة الشبابية إلى نقد ما هو كائن بالنظر إلى ما ينبغي أن يكون باعتباره إطاراً مرجعياً لذلك.

ومن هنا نجد أن الثقافة الشبابية تتسم بالطابع التقويمي أو النقدي ويعني ذلك أننا إذا قلنا أن العناصر المكونة للثقافة الإدراكية والتقويمية والوجدانية , فإننا نجد أن ثقافة الشباب تستند بالأساس إلى العنصر التقويمي ,ويصبح أساس التقويم والنقد متمثلاً في مدى كفاءة هذه الثقافة في إشباع الحاجات الأساسية للشباب ,وأيضاً مدى اقترابها من شكل المجتمع الذي ينبغي أن يكون أو الذي يتصورونه بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الثقافة تصوغ عادة جدلاً مع الثقافة السائدة ,وذلك فيما يتعلق بمطالب أو قضايا عامة تخص المجتمع بكل فئاته .وليست مطالب تتعلق بالمصالح الخاصة بالشريحة الشبابية ,وقد يرجع

ذلك في بعض منه إلى الطهارة التي تتمتع بها هذه الشريحة وأيضاً إلى المثالية التي تتوفر لها هذا إلى جانب أننا كما أشرنا نجد أن الشريحة الشبابية (الطلابية) داخل الجامعة تنتمي عادة إلى مختلف الشرائح الاجتماعية ويتسق مع ذلك أن مطالبها ليست فئوية .

9-وتعتبر إمكانية التحول من الثقافة الفرعية - التي ترتبط بشريحة محددة - إلى الثقافة المضادة - التي تشكل وعي شريحة رافضة - من الخواص الأساسية التي تميز المجتمع الشبابي ,وفي هذا الصدد فنحن إذا كنا قد أكدنا على وجود ثقافة فرعية يمكن أن نسميها بالثقافة الشبابية ,فإنه من الضروري أن تعمل الثقافة العامة في هذه الحالة على استيعاب عناصر التجديد الكائنة في إطار الثقافة الشبابية ,بحيث يساعد ذلك على دعم أو اصر العلاقة بين الثقافة الأم من ناحية والثقافة الفرعية - الشبابية - من ناحية أخرى عن طريق خلق قدر كبير من القواسم المشتركة بينهما ,بحيث يعنى ذلك بتطوير الثقافة الأم بالقدر الذي يمكن أن تستوعبه من الثقافة الفرعية الشابة ,لكن إذا كانت هذه هي الحالة المثالية الواجبة للعلاقة بين الثقافة الكلية والثقافة الفرعية ,فإننا نجد أن الثقافة الكلية - ثقافة الشيوخ - تصم آذانها عادة أمام أي ادعاءات الثقافة أو شريحة الشباب ,ومن ثم تدفعها إلى التحول من ثقافة فرعية إلى ثقافة مضادة ونتيجة لذلك يشكل الشباب - وبخاصة طلاب الجامعة - مجتمعاً مضاداً وثقافة مضادة , في أعقاب ذلك يتخلق حوار عنيف بين الطلبة والنظام الاجتماعي والسياسي قد يبدأ بلغة الكلمات الحادة والنافذة غير أنه ينتهي أحياناً بطلقات الرصاص , وتتحول القضية حينئذ لتصبح هل في إمكان المجتمع والثقافة الأم قمع الشباب وإخضاع ثقافتهم فإذا اتبع المجتمع هذا التوجيه لمعالجة التفاعل بالقضاء على التناقض عن طريق نزع فتيل الاشتعال وتأجيل الانفجار ,فإننا نجد في مقابل ذلك أن باستطاعة ثقافة الشباب المضادة السعي إلى التحالف الجماعات والثقافات الراديكالية الأخرى ,كخطوة ضرورية للقضاء على النظام القائم وثقافته الجامدة , وتقديم بديل لملامح المجتمع والثقافة التي ينبغي أن تكون مع الاختيار.

10- وتعتبر مسؤولية الاختيار والتوتر المرتبط به من أهم الخصائص المميزة للموقف الشبابي ,وإذا كانت مرحلة الشباب تتحدد - كما أشرنا - باكتمال النضج الاجتماعي المستند إلى اكتمال التأهيل الاجتماعي للشباب للاضطلاع بمسؤوليات محددة ,فإننا نجد أن الشباب هم الفئة التي تواجه بأعباء اختيار نوع المسؤولية التي عليهم أن يقوموا بها وليست أعباء القيام بالمسؤولية ذاتها غير أننا نجد أن هذا الاختيار يواجه عادة بثلاث صعوبات وتتمثل الأولى في مدى تأهيل الشباب للقيام بأي من جوانب المسؤولية في مختلف المجالات الاجتماعية ,أما الثانية فتتعلق بمدى ملائمة الظروف الاجتماعية المحيطة والقائمة لإنجاز اختيار الاضطلاع بمسؤولية محددة ,بينما قد تنشأ الثالثة نتيجة لاتجاه المجتمع إلى فرض مسؤوليات محددة على الشباب دونما إتاحة فرصة للاختيار أو حتى إتاحة فرصة التفاعل مع المفروض ,وهو ما يمكن أن نسماه وصاية الاختيار .

واستناداً إلى ذلك أن مرحلة الشباب تواجه بضرورة القيام باختيارات تتعلق بالاضطلاع بمسؤوليات عديدة فمطلوب من الشاب ضرورة القيام باختيار التخصص ,مطلوب منه اختيار المهنة إذا هو قد تخرج من الجامعة ومطلوب منه الاختيار لتأسيس أسرة مع ما يترتب على ذلك من إنجاز مسؤوليات عديدة ,وإذا قلنا أن عملية الاختيار هذه تجعل الشاب يعيش لحظات القلق والتوتر الوجودي بما يعدم قدرة المخاطرة لديه ومن ثم تحمل نتائج القرار فإن ذلك من شأنه أن يؤكد أحييته في المشاركة الإيجابية في صياغة الواقع الاجتماعي المحيط وهو ما يعني تعميق انتمائه الاجتماعي باعتبار أن هذا الواقع - الذي تشكل مسؤولياته واختياراته جزءاً منه - هو واقع شارك فيه بيد أننا نجد على العكس من ذلك أن حرمان الشباب تأسيس اختياراتهم المصيرية يؤدي إلى شعورهم بالقلق والاعتراب والانسحاب من الحياة الاجتماعية ومن ثم إضعاف انتمائه الاجتماعي ,بحيث يتحول إلى عبء يثقل كاهل التنمية وحشداً أو رصيذاً ساكناً ومنتظراً لأي تمرد شبابي قادم وقادر على دفع هذا الحشد باتجاه إشاعة الفوضى في النظام الاجتماعي .

11- ويعتبر الرفض والتمرد من الخواص المحورية المميزة للشريحة الشبابية وتعني هذه الخاصية عدم اقتناع الشباب بما هو كائن ومن ثم رفضه ,وقد يرجع عدم الإقناع هذا إلى أنواع الحرمان التي تواجهها الشخصية الشابة فيها يتعلق بإشباع حاجاتها الأساسية وقد يتخذ الرفض صورة رفض مؤسسات الدولة التي تحيط بالشباب ,التي يصبحون أمام ضخامتها وفعاليتها فاقدى القوة والفاعلية , وقد يتخذ الرفض شكل التمرد على منطق الوصاية الذي يحاول الشيوخ فرضه على الشباب بحجة عدم اكتمال نموهم ,وقد يصبح الرفض معنوياً كما هو الحال في النكتة الناقدة لإحدى جزئيات الوجود الواقعي أو يتخذ شكل الهجرة المادية من الوطن ,وقد يصبح الرفض لا مبالاة متخلقة عن مظاهر عديدة كالإحباط واستمرار الحرمان ,بحيث يؤدي ذلك إلى ضعف الانتماء والحياة بفكرة الهجرة كفكرة أيديولوجية ويعني ذلك أن يعيش الشباب بعقلية المهاجر داخل حدود الوطن ,قاطع لكل ارتباطاته والتزاماته متخلياً عن أية تبعات قد تفرضها بديهيّة المواطنة .

ويرتبط بالرفض والتمرد دور الشباب في المعارضة السياسية والاجتماعية حيث لعب الشباب هذا الدور في الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تشهد منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حركة عمالية سياسية ,والتي لم تعرف أيضاً حزباً سياسياً راديكالياً شعبياً يمكن أن يكون مصدراً لحركة راديكالية جديدة ,ويصدق ذلك أيضاً على الفترة التي شعر فيها كثير من الأمريكيين بعدم الارتياح لسياسة حكوماتهم الداخلية والخارجية ونتيجة لذلك بدأ الطلاب الجامعيون يقومون بدور بارز في التعبير عن عدم الرضاء عن السياسات الحكومية ,ثم معارضتها فيما بعد ,ويمكن القول بأن الطلاب الجامعيين قد ظلوا يشكلون عنصراً هاماً في الحركة الراديكالية ومصدراً للأفكار النقدية ,وفضلاً عن ذلك نجدهم يتولون قيادة التظاهرات الجماهيرية ,ويلعبون دوراً أساسياً في التأثير على السياسة القومية من خلال تأييدهم لمرشحي المعارضة ,مثلاً حدث خلال حملة رئاسة السيناتور يوجين مكارثي.

والجدير بالذكر أننا نجد أن التمرد السياسي أو المعارضة السياسية التي أعلنها الشباب في كثير من الأقطار تكون عادة رد فعل للنظم التسلطية والرجعية الحاكمة في هذه الأقطار ,حيث نجدها نظاماً غير متكيفة واحتياجات التحديث ومتطلباته أو عاجزة عن إشباع الحاجات الأساسية لجماهيرها ,أو أنها منفصلة عن الجماهير وتوجهاتها الرئيسية ,وتنشأ المعارضة حينما تحاول السلطة في هذه النظم كبح هذه الحاجات أو القضاء على الأصوات التي تطالب بضرورة إشباعها حيث تتحول هذه المعارضة في النهاية من معارضة ذات طبيعة مؤقتة إلى معارضة سياسية دائمة نشطة ومستمرة للنظام القائم .

المتغيرات التي تؤثر في جيل الشباب العربي

ليس ثمة شك في أن الظروف المحلية والقومية والعالمية التي يعيش فيها أو يتأثر بها جيل الشباب العربي الآن تختلف اختلافاً جوهرياً عن تلك التي عاشت فيها أو تأثرت بها أجيال سابقة .

كانت معدلات التغير الاجتماعي الهائلة أو المعتدلة - حتى منتصف القرن الحالي مثلاً - تسمح بدرجة من الاستمرارية بين الأجيال ,يتلقى اللاحق منها عن السابق التراث دون عناء كبير ,ويتوصل إلى أساليب توافق وتكيف جديدة بشيء قليل من الألم وينتهي إلى إعادة التنظيم من غير كثير من المعاناة.

أما الآن فإن التغير الاجتماعي - بسرعه الفائقة وشموله وعمقه - يأتي دائماً بأوضاع ليست لها سوابق مما يجعل التكيف معها أو إعادة التنظيم بينها أمراً يكاد يكون مستحيلاً .وبعد أن فقدت الخبرة الماضية جزءاً كبيراً من قيمتها وفعاليتها أصبحت كثير من وسائل أو أدوات التطبيع الاجتماعي في غير اتساق مع العصر ,لا تستطيع أن تقدم تفسيراً مقنعاً للواقع المتغير ولا أن تفيد في التعامل معه ,ومن هنا تفقد كثيراً من قيمتها وهيبته في نظر الشباب.

فعلى سبيل المثال يتراكم بفضل التقدم العلمي السريع كم هائل متزايد من المعارف والخبرات ,تعجز نظم التعليم النظامية (كالمدرسة) وغير النظامية (

كأدوات الثقافة والإعلام) عن استيعابها وتقديمها للشباب ومساعدتهم على تمثيلها والاستفادة منها هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى تترتب على الثورة التكنولوجية تغييرات جذرية في نظام تقسيم العمل تتخلف أجهزة اتخاذ القرار وتنفيذه في المجتمع عن استيعابها والاستجابة لها فيجد الشباب أنفسهم عاجزين عن التكيف معها.

كان توزيع الأدوار الاجتماعية وتحديد القيمة الاجتماعية في المجتمعات البدائية والزراعية البسيطة يقوم على أساس السن ,وبعد المرور بطقوس معينة ومن ثم كان الأطفال يكتسبون حقوق الشباب ويتحملون مسؤولياتهم بمجرد تخطي (الحلم) ونجاحهم في (طقوس التكريس) وهو تحول لم يكن ينازعهم فيه أحد -اللهم إلا في حالات نادرة - كالإخفاق في طقوس التكريس ,أما في المجتمعات الحديثة المعقدة ,فإن توزيع الأدوار الاجتماعية يستند إلى محكات أخرى (مثل التعليم الرسمي - في المدرسة - والمهارات الشكلية المتخصصة وغيرها) قد لا تتفق مع معيار السن ,بل وقد تتعارض معه في بعض الأحيان .

ولقد ظهرت بوادر أزمة جيل الشباب حين لم تعد القوة العضلية أهم متطلبات الأداء الكفء للعمل المنتج ,وتوقف الارتقاء البيولوجي عن أن يكون في حد ذاته العامل الحاسم في صلاحية شخص ما لشغل دور معين وتكتسب الأزمة أبعاداً جديدة الآن ,فلم يعد تخطي من الشباب وبلوغ الهرم من العوائق في استمرار تحمل عديد من المسؤوليات الاجتماعية الهامة بعكس ما كان يحدث قديماً , وذلك بفضل التقدم العلمي والتكنولوجي وبعد أن أصبح دور الإنسان في عديد من العمليات الإنتاجية والخدمية هو دور التحكم والضبط الأجهزة تعمل ذاتياً . وكمثال ,لا يسمح للشباب الذي يرغب في ممارسة التدريس في الجامعة بتحقيق طموحه إلا بعد اجتياز مراحل التعليم الرسمي المختلفة - في تسلسلها الطبيعي ,ودون تخطي أية مرحلة منها حتى يحصل على الدكتوراه في تخصص ما (لا يسمح له بتجاوزه عادة)

والالتزام بمثل هذه المعايير - على الرغم من عقمه أحياناً - هو أمر ضروري تحتمه تحولات جذرية طرأت على المعرفة الإنسانية (حجمها وتصنيفاتها) وعلى نظام تقسيم العمل في المجتمع.

ومع التطورات الحديثة في نظام تقسيم العمل والتخصص اختفت العلاقة العاطفية الوثيقة القديمة بين الإنسان ومهنته ولم يعد صاحب مهنة ما يحس بحاجة لأن يراها تعيش وتستمر من خلال آخرين؛ من خلال الأبناء أو التلاميذ . وبتعقد النظام الاقتصادي والتفكك النسبي للعلاقات الأسرية القديمة , لم يعد الآباء يرون في أبنائهم تأميناً أو نوعاً من التأمين لمستقبلهم هم أو لم يعودوا يرونهم كذلك بالدرجة نفسها التي كانوا يرونهم بها قديماً .

ثانياً : ساعدت الثورة العلمية والتكنولوجية في إسقاط الحواجز التي فصلت مناطق العالم بعضها عن البعض الآخر في عصور سابقة حتى لقد أصبحت كلها تكون عالماً واحداً صغيراً - يزداد صغراً يوماً بعد يوم - تتأثر أجزاؤه المختلفة بالأحداث في أي جزء منه . فالتقدم الهائل في وسائل الاتصال والمواصلات قد ساعد الشباب على تخطي حدود المحلية والإقليمية وعرضهم لتأثيرات عالمية فالراديو والتلفزيون يستقبلان الإرسال العالمي الآن مباشرة من الأقمار الصناعية والصحف اليومية . والكتاب والأسفار وغيرها تساعد في تحطيم الحصار الذي فرض على عقول الشباب وعواطفهم , وتضعهم في دوامة الأحداث العالمية , ومن ثم فإن حركة (الهيبز) وتمردات الطلبة في الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل الستينات , و (الثورة الثقافية) في الصين في منتصف الستينات , وثورة الطلبة والعمال في فرنسا في أواخر الحقبة نفسها , لم تقف عند حدود المجتمعات التي وقعت فيها وإنما صارت - بكل القضايا التي دافعت عنها والشعارات التي رفعتها والجهود التي بذلتها والنجاحات التي حققتها والإخفاقات التي تعرضت لها - جزءاً من تراث الشباب في معظم أنحاء العالم العربي .

وثورة العلم والتكنولوجيا في مجال المواصلات والاتصال - والتي يدركها الشباب أكثر مما يدركها الكبار عادة - تهز كثيراً من القيم والأفكار وأساليب

السلوك التي ينشأ عليها الشباب وبخاصة في الحالات التي تبدو فيها الهوة واسعة وعميقة بين القيم والأفكار والتصرفات التقليدية من جهة وبين نبض العصر من جهة أخرى .

الشباب العربي - على حد قول أحدهم - بدأ يدرك بوضوح وأسى الفرق بينه وبين شباب الدول المتقدمة . ويترتب على هذا نتائج هامة , منها أن كثيراً من الشباب العربي يجدون أنفسهم في دوامة عنيفة لصراع حاد بين الأفكار والأيدولوجيات من الإلحاد إلى الهوس الديني , ومن صيغ للديمقراطية يتمتع فيها الناس بحريات واسعة إلى نظم تقوم على درجة من القمع والإرهاب لم يشهد التاريخ لها مثيلاً , ويعيشون في زعر من وسائل التدمير الحديثة التي يمكنها - في لحظة طيش وجنون لها سوابق كثيرة - أن تقضي على كل ما حققته البشرية في تاريخها من منجزات؛ ويتألمون للحروب المحلية التي تعصف بملايين النفوس البريئة , وتعود ببعض المجتمعات إلى فقر العصور الوسطى وأظلامها , ويأسون للفشل الذي يصيب بعض الثورات الحاملة , والظلم الذي تعيش به شعوب بأكملها.

وثمة من ناحية ثالثة , الصدمة الحضارية التي ترتبت على فتح العالم العربي للتأثيرات الأوروبية الغربية من أوائل القرن الماضي , ثم لتأثيرات أخرى من منتصف هذا القرن .

● وفضلاً عن التحولات الخطيرة التي أحدثها لقاء

العالم العربي بالحضارة الأوروبية , حدثت تطورات حادة أخرى من أهمها :

1- أزمة ثقة بالتراث أو بالصورة التي يقدم بها للشباب بمعنى أدق , وبخاصة بعد الهزائم التي منيت بها حركة التحرر الوطني , ثم التحديث , في الصراع مع الاستعمار ثم الامبريالية والصهيونية .

2-الإحباطات القومية التي يحس بها الشباب نتيجة للتخلف الفكري والاقتصادي والاجتماعي بالقياس إلى الدول المتقدمة في العالم واتساع الهوة التي تفصل بينها وبين العالم العربي يوماً بعد يوم .

3-الوعي بالأزمة (والبحث عن هوية) اللذان ولدهما الصراع والإحباطات .
هذه التغيرات العميقة وتأثيراتها الواسعة ,تستثير في الأجيال المختلفة استجابات ومشاعر متباينة فالأطفال لا يحسون بها ,أو لا يستوعبون دلالاتها بمعنى أدق والكبار يتحصنون بما لهم من سلطة ووسطوة ضدها ,ومن ثم لا تؤرقهم كثيراً. أما الشباب - وهم الجيل الأكثر معاناة منها - فهم يحسون بها ربما بوضوح أكثر مما يحس الكبار ,ولا يستطيعون تجاهلها لأنها تتصل بحاضرهم ومستقبلهم.

وثمة ,من ناحية أخرى الصدمة التي يتعرض لها قطاع كبير من الشباب يهاجر من الريف ليستقر في المدينة ,أو يولد في المدينة لآباء من أصول ريفية فيواجهون - إلى جانب الهوة التي تفصل مجتمعاتهم عن الدول المتقدمة - هوة أخرى بين أسلوب حياة نشأوا فيه وألفوه وآخر لم يألفوه ويضطرون للتكيف معه.

وإذا كانت عملية الانتقال من الريف إلى الحضر في دول العالم الصناعي لم تعد تنطوي على مشكلات ذات أهمية ,فإنها في حالة الدول النامية - والعالم العربي - تمثل نوعاً من (الأزمة) بالنظر إلى الفروق النوعية الهائلة بين أسلوب الحياة في الريف العربي - وهو يعيش أقرب إلى العصور الوسطى - وأسلوب الحياة في المدن ,وهي لا تختلف في بعض ملامحها عن أكثر العواصم الأوروبية تقدماً.

ولا يحمل المهاجرون من الريف أو البادية إلى المدينة آثار ثقافات بدائية انحدرت من عصر الخرافة فقط ,ولكنهم يحملون معهم تخلف وهموم أهله وثقافتهم .وفي المدينة لا يبذل جهد جاد لتحرير التراث من الخرافة والدجل ,بل إن أجهزة الثقافة والإعلام تدعم الخرافة والدجل أحياناً (ولا يهم أن يكون ذلك بقصد أو بدون قصد).

لا أحد - جاداً - يدعو إلى رفض التراث , ولكن ثمة إحساساً بحاجة ماسة إلى الوقوف منه موقفاً نقدياً انتخابياً يطرحه للتحليل والمناقشة الحرة من جهة , ويختار منه ما يدعم الحركة في طريق التقدم , وي طرح كل ما يكرس التخلف من جهة أخرى .

ونأتي إلى الوضع السياسي في العالم العربي؛ ففي مرحلة ما قبل الاستقلال تحالفت مختلف القوى الوطنية وجيل الكبار والشباب معاً في معركة التحرير التي تحمل جيل الشباب الجانب الأكبر من أعبائها . وبعد الاستقلال , تطلعت الحكومات الوطنية تسيطر عليها الطبقة الوسطى عادة - إلى حالة من (الاستقرار) و (الوحدة) تمكّنها من إعادة البناء والانطلاق في آفاق التقدم . واقتضى هذا كف ثورية جيل الشباب , واحتواء حركته حتى قد أصبح الاستقطاب بين نظم الحكم وبينه أحد معالم الحياة السياسية في الدول العربية .

وحين يقيم الشباب حصاد السنوات الطويلة من البذل والعطاء والطموح والأمل , يصلون إلى نتيجة بالغة الخطورة والأثر : فهم لم يحرّموا من جني حصاد تعبهم فقط ولكنهم يحسون بأنهم خدعوا وضلّوا . فالتقدم الاقتصادي لم يؤد إلى تحسين مستوى معيشة الطبقة الدنيا والقطاع الأدنى من الطبقة الوسطى , بل إن مستوى معيشتها قد انخفض بمعنى ما . والتقدم الاقتصادي - وهو متواضع على أية حال - لم يصاحبه تطور حضاري أو تنمية اجتماعية وما زال التخلف الثقافي والفكري وتخلف العلاقات الاجتماعية قوياً , إن لم يكن قد ازداد بفضل اتساع الهوة بين مجتمعاتنا والدول المتقدمة .

فنموذج الذكورة والأنوثة فقد فقد الكثير من مضمونهما الذي كان سائداً راسخاً منذ حوالي نصف قرن , لكن مضمونهما الجديد لم يتحدد بعد بصورة واضحة وظروف التربية والحياة الاجتماعية والاقتصادية لا تتيح في كثير من الأحيان تحديد نموذج الراشد ومسؤولياته في وقت مبكر مما يطيل الفترة المراهقة التي يقضيها المراهق في صراع حول اكتساب مكانة مستقرة بين

الراشدين غير أن هذا كله لا يعني أن الشاب يتجه إلى (خلفه) تامة من الواقع الاجتماعي ,بصفة خاصة ,بل على العكس من ذلك - تكشف اهتمامه وقلقه عن رغبة في إعادة تنظيم علاقاته بالآخرين التي أفسدتها أزمة بداية الشباب ,ولم تعد صالحة في شكلها القديم لتنظيم تفاعله مع الواقع .

الشباب العربي ,إذن ,يعيشون في مناخ من الانومي - على حد بعض التعبيرات السوسيولوجية - تضعف فيه القيم التي استقرت طويلاً ,حتى تمتلئ الحياة بالمتناقضات - وبخاصة تناقض أنساق القيم بين الأجيال المختلفة وتناقض الحياة اليومية مع نسق القيم والمعايير - إلى حد أن يتعذر الاتفاق على شيء مشترك يلتزم به المجتمع.

في مثل هذه الظروف ,يحس الشاب بأنه وحده لا يجد عوناً من المجتمع في اختياره أهدافه وتحديد سلوكه .

مقدمة في طبيعة اغتراب الشباب العربي

ظهرت فكرة الاغتراب لأول مرة في الفكر المسيحي في العصور الوسطى , ولكنها لم تتبلور كمفهوم فلسفي إلا في الفلسفة المثالية الألمانية في أواخر القرن الثامن عشر حين قصد بها أن تلخص أزمة الوجود الإنساني في " النظام الجديد " النظام الصناعي في صيغته الرأسمالية وترددت الفكرة في مذاهب فلسفية واجتماعية عديدة ,حاول بعضها أن يعطيها معنى أكثر تحديداً وموضوعية بتحليلها ,لا في حدود علاقة الإنسان بذاته ,ولكن من خلال علاقته بالواقع والواقع الاجتماعي على وجه الخصوص.

وتقوم فكرة الاغتراب على أساس التمييز بين " وجود " الإنسان " و "جوهره "وعلى أن وجود الإنسان بصورته التي نراه عليها في المجتمع الحديث لا يتفق مع جوهره أو مع ما هو من حقيقته ,وإنما هو يختلف عنها بل ويتعارض معها , فما هو كائن لا يتفق مع ما ينبغي أن يكون.

والإنسان المغترب هو الإنسان الذي لا يحس بفاعليته ولا بأهميته ولا بوزنه في الحياة، وإنما يشعر بأن العالم (الطبيعة، والآخرين، بل والذات) -على عكس ذلك - غريب عنه :يوجد بعيداً عنه وفوقه، حتى ولو كان من خلقه هو .

فعلاقة الإنسان " المغترب " بالحياة الاجتماعية هي كعلاقة الإنسان البدائي بالصنم :يخلقه أو يصنعه بيديه ثم يرفعه فوق نفسه ويتحول إلى مجرد عبد له لا تخرج علاقته به عن عبادته، وبقدر ما يتفانى الإنسان في عبادة الصنم - الذي قد يكون الدولة أو الأسرة أو أية مؤسسة اجتماعية أخرى - يزداد خضوعه له ويزداد احتقاره لنفسه أي تقليله من شأنها، بل وتحقيقه لها .

وفي نشاطاته الاجتماعية المختلفة لا يحقق الإنسان المغترب ذاته، وإنما يضيعها ولا يشعر بسعادة فيها . وإنما يعاني من شقاء وتعاسة ولا ينمي مهاراته وخبراته، وإنما يفقدها؛ ولا يحقق استعداداته وإمكانياته، وإنما يخسرهما .

ونحن نظن أنه لا خلاف على أن الهدف الذي ينبغي أن ترمي عملية الارتقاء إلى تحقيقه هو الإنسان الكامل - أي الإنسان وقد تحققت كل إمكانياته وازدهرت كل ملكاته يعرف ذاته ويرضى عنها أو يقبلها بل ويسعد بها؛ ويدرك الواقع ويستطيع أن يتعامل معه في علاقة عمل منتج مشبع نفسياً؛ ويفهم الآخرين ويمكن أن يقيم معهم علاقات صحية مرضية لهم ومشبعة له في الوقت نفسه علاقات يجد فيها احتراماً لذاته بقدر ما يضع فيها من تقدير للغير

والإنسان المغترب هو أدنى مما يمكن أن يكون أي أقل كثيراً مما تسمح له إمكانياته، أو هو ليس كما ينبغي أن يكون أي أن استعماله لإمكانياته يأخذ شكلاً لا يساعد في تحقيقها وازدهارها .

وبهذا المعنى يمكن أن نقول أن شيئاً من الاغتراب كان نصيب الإنسان في كل عصر من عصور التاريخ، المكتوب على الأقل، ولكن يبدو أن اغتراب الإنسان بدأ يأخذ أبعاداً جديدة خطيرة في العصر الحديث، بعد أن استقر النظام الصناعي الجديد، وظهرت الدولة الحديثة أو النظام الجديد للدولة.

وبشيء من التجاوز يمكن أن نقول أن الإنسان في مجتمعاتنا ولد في حالة اغتراب فمعظم الإناث يولدن غير مرغوب فيهن ,وكثيرون من الذكور يولدون لأن آباءهم لا يعرفون كيف يتوقفون عن النسل ,يولدون كنتائج غير مقصودة في أحيان كثيرة ,ولا يتردد الأهل في مثل هذه الحالات عن مصارحة الأبناء بأنهم لم يكونوا يريدونهم .

وفي مراحل الارتقاء المختلفة ,لا يتحمل الأهل والكبار مسؤولياتهم في معاونة الأبناء في فهم ما يطرأ عليهم من تغيرات وقبوله والتكيف الناجح معه ,ومن ثم يخفق الأبناء في إدراك معنى ما يحدث لهم ودلالاته ,بل إنهم يرفضونه , ويرفضون ذواتهم ,حين يجدون أن ما يجري فيهم ولهم يصير مادة للتفكك والسخرية بهم من الكبار ,وحين يفقد الأهل والكبار قدرتهم على توفير الفهم السليم والدفء العاطفي والتوجيه الناضج للأبناء ,يفقد هؤلاء قدرتهم على تحقيق التوافق والتكيف وإعادة التنظيم اللازم.

وتتجه التربية بالأبناء لا إلى تحقيق ملكاتهم وصقل مواهبهم وإرضاء طموحاتهم ,ولكن إلى صبهم في قوالب بالشكل الذي يرضى عنه الكبار ويقبلونه فمواد الدراسة لا تلتقي مع اهتماماتهم ولا تجيب عن تساؤلاتهم بل ولا تساعدهم في فهم الواقع فهماً موضوعياً سليماً ,ومنهج الدراسة يبعد بهم عن الواقع ,ويعزلهم عن التجربة ,ويكون فيهم نوعاً من سوء الفهم لهما والتعالي عليهما ؛ فضلاً عن هذا فإنه يقدم لهم النظام الاجتماعي القائم باعتباره (معطى) يرتفع على النقد ولا يقبل المناقشة.

والجانب الأكثر إلحاحاً من أزمة الشباب هو في نظر بعض علماء النفس العزلة التي تترتب على ضعفه أمام مجتمع منظم قوي قاهر وهي عزلة لا سبيل إلى حلها في تصورهم إلا من خلال نوع من " الوحدة " الحقيقية القائمة على " الحب والتعاطف والتعاون بين الناس. " غير أن هذه الوحدة تبدو مستحيلة ,بالنظر إلى ضغط المجتمع على الناس ودفعهم إلى المسيرة والانصياع ,وهو اتجاه لا يؤدي فقط إلى الحيلولة دون تحقيق وحدة حقيقية بين البشر ,وإنما يتسبب أيضاً في

تعويق نمو ميول الحب والإبداع لديهم . وهذا تطور مرضي يتسبب في كثير من الانحرافات في المجتمع الحديث .

ويمكن أن نتكلم عن اغتراب الشباب العربي في ضوء حقيقة موضوعية بسيطة - وهامة في الوقت نفسه - وهي أن شبكة العلاقات والتنظيمات الاجتماعية التي يرتبطون بها لا تقوم على أساس تقدير موضوعي سليم لظروفهم واهتماماتهم وإمكانياتهم ، ولا يسير العمل فيها بحيث يحقق مصالحهم ويرضي طموحاتهم.

ولا يقتصر هذا على الأجهزة التي لا يلعب الشباب دوراً حاسماً فيها (مثل أجهزة وضع السياسات العامة واتخاذ القرارات الهامة وتنفيذها) وإنما يمتد ليضم الأجهزة التي تعتمد عليها جهودهم (كالتنظيمات السياسية) بل وتلك التي تقوم - في وثائق إنشائها - من أجلهم (كنظام التعليم ، ومنظمات الشباب ، وما إليها).

بل إن هذه " الأزمة " التي تبدو في علاقة الشباب ببعض التنظيمات الاجتماعية تمتد لتشملهم ، فالعمل الذي يتاح لهم لا يلتقي في أغلب الأحيان مع استعداداتهم وخبراتهم وميولهم وتطلعاتهم ، بل قد يتعارض معها . ومن ثم يصبح العمل نشاطاً ثقیلاً على النفس غريباً عنها يمارسه الشخص بالرغم منه - بمعنى ما - من أجل أن يعيش لا من أجل أن يستمتع به ويعجز مثل هذا النوع من العمل عن مساعدة الإنسان في تفتح إمكانياته وتحقيق ملكاته بل إنه يدفع فيه إحساساً بالسلبية تجاه الواقع واتجهاً باللامبالاة ويصل هذا الأمر المدمر للعمل إلى علاقات الشخص بالآخرين فيعزله عنهم ، بل ويضعه ضدهم ويضعهم ضده . وبهذا لم يعد العمل جزءاً من الإنسان يحقق له ذاته ، وإنما هو نشاط يفقد فيه ملكاته الذهنية وقدراته الجسمية ؛ ولم يعد مرضياً له ، وإنما هو يدفع فيه إحساساً بالتعاسة ، إذ لا سيطرة له عليه بل لا مصلحة له فيه ، ولم يعد يساعده في أن يلعب دوراً ذا معنى في الجماعة ، بل أنه يضعه في صراع مع الآخرين.

ولا يخلو هذا الوضع من مرارة وقسوة؛ لأنه يحدث في الوقت الذي تزداد فيه أهمية الشباب وخطورة دورهم في الحياة .وربما كان يحدث بسبب زيادة أهميتهم وحيوية دورهم في الحياة ,فمن ناحية ,تزداد أهمية جيل الشباب العددية ونسبته في التركيب السكاني لمعظم المجتمعات العربية ويزداد تعليمه وثقافته ووعيه بفاعليته وكفاءته في ممارستها ,وتزداد بالتالي قدرته على التأثير في سير الأمور في المجتمع ,ومن ناحية أخرى ,ولهذه الأسباب نفسها يزداد حرص جيل الكبار على احتواء الشباب وكف حركتهم أو توجيهها في مسارات معينة .ويستعمل في هذا عديداً من الأساليب (من الترغيب والرشوة إلى القمع والقهر).

ومن ثم ففي حين أصبح الشباب أداة الدولة في مباشرة سلطانها وتحكمها على المستويين المحلي والعالمي وتأكيدهما ,يتضاءل وضعه الحقيقي في صنع القرارات المؤثرة وتنفيذها.

فنمو سلطة الدولة وتعاضم شأن الكبار فيها يتمان على حساب سلطة جيل الشباب وفاعليته ,ومن هنا فإن أي تدعيم لوزن إحدى السلطتين يتم على حساب الأخرى .

وحين تنهوى أحلام الشباب وطموحاته كأوراق شجرة أدركها خريف عاصف بعد عمر قصير ,فليس غريباً أن يقف بعضهم موقفاً معارضاً لعالم الكبار ,وقد يصل بهم الأمر إلى حد التمرد عليه والثورة ضده ,والبحث عن التعويض والسلوى في عالمهم الخاص :عالم الشباب - رفاق السن والأزمة - يحققون فيه ذواتهم ,ويعيشون فيه الحياة على نحو يرضيهم .

التواصل بين الأجيال

تأخذ عملية التواصل الاجتماعي بين الأجيال أشكالاً مختلفة بحسب مستويات التضافر الاجتماعي وترابط المكونات الثقافية والحضارية في المجتمع من جهة . وبحسب مستويات تفاعل المجتمع المعني مع المجتمعات المجاورة له من جهة

أخرى .ففي الوقت الذي تسهم فيه مستويات التضافر الاجتماعي وترابط المكونات الثقافية والحضارية في المجتمع في توضيح أشكال العلاقة بين الأجيال .يمكن لأنماط التفاعل التي يقيمها المجتمع المعني مع المجتمعات الأخرى أن تسهم في تغير تلك الأشكال أو تقويض دعائمها والعمل على صياغة أشكال جديدة لم يكن المجتمع يعرفها من ذي قبل .

وعلى الرغم من التغيرات الواسعة التي يشهدها المجتمع في الجمهورية العربية السورية منذ بدايات القرن العشرين وحتى الآن .غير أن ملامح أساسية في بنية العلاقات الاجتماعية مازالت مستقرة .وتؤدي وظائفها الحيوية بالنسبة إلى كل شريحة اجتماعية من الشرائح المعنية بعملية التواصل .وفي الوقت ذاته يلاحظ أيضاً أن أنماطاً جديدة من عمليات التواصل بدأت تظهر بشكل واضح . وتنتشر بقوة في الوسط الاجتماعي وتلقى قبولاً حسناً بين الأجيال المتعاقبة . ويمكن التمييز بين ثلاثة أنماط من عمليات التواصل تنتشر في المجتمع العربي السوري .هي التقليدية والحديثة، والتوفيقية، أما التقليدية فتوصف بأنها ذات اتجاه واحد في أغلبها .وهي علاقة أبوية تقوم على سلطة الأب ووصايته على أبنائه .

الحديثة تعطي الحرية للشباب في معظم تصرفاتهم وقراراتهم .كما يظهر نمط ثالث يأخذ موقع الوسط بين التقليدي والحديث .فيسلم بمبدأ وصاية الأب مع توسيع دائرة المشاركة باتخاذ القرارات دون انفراد أي من طرفي التواصل في هذه العملية .

أما مواضيع التواصل فقد تنوعت بشكل واسع منها على سبيل المثال قضايا الأصدقاء .والنفقات والدراسة والعمل وغيرها .وقد تجلت الاتجاهات الرئيسية لعملية التواصل في هذه المواضيع كافة .

وفي ضوء هذا التصور تتوزع محاور الدراسة بحسب مواضيعي الاتصال الأساسية وهي التعليم والعمل، والنفقات والعلاقات الاجتماعية مع الأقل والأقارب واختيار الأصدقاء والعلاقة مع الجنس الآخر .

أولاً - التواصل بين الأجيال وموضوع التعليم

يحظى موضوع التعليم باهتمام الأسر على اختلاف شرائحهم، ومستويات معيشتهم، فإن للأهل مواقف واضحة ومحددة من تعليم الأبناء. وأن هذه المواقف ليست حيادية بالشكل الذي يجعل شريحة الشباب قادرة على أن تختار مجال دراستها بحرية وتلقائية. فرغبات الأهل وطموحاتهم أكبر من إمكانية تجاوزه وعدم أخذها بعين الاعتبار .

أ - مواقف الآباء من تعليم الأبناء : يأخذ أرباب الأسر مواقف متباينة من تعليم أبنائهم. وغالباً ما يمارسون ضغوطاً اجتماعية كبيرة على الأبناء لدفعهم إلى اختيار هذا الاختصاص العلمي أو ذاك. ويمتد الأمر لدى بعض الأسر إلى أن تدخل الأهل لا يقتصر على تدخل الأبوين بل يمتد إلى تدخل الأقارب من العم والخال وحتى الجد. ويلاحظ أن الجد في بعض الأحيان يكون أكثر تشدداً من الأب أو العم مثلاً. ويظهر تدخل الأقارب في اختيار الأبناء لمجالات التعليم المرغوب فيها من خلال الضغوط والتأثيرات التي تمارس على الأب مباشرة أكثر مما هي على الأبناء. ذلك الاعتقاد السائد بين الأقارب أن الأب في حقيقة الأمر هو صاحب القرار في السماح لأبنائه بالانتساب إلى هذا الميدان العلمي أو ذاك . الأمر الذي يفقد الأسرة استقلاليتها في اتخاذ قراراتها .

ويمتد الأمر لدى البعض للقول بأن عملية التأثير لا تقف عند الأقارب فحسب بل تمتد لتشمل أصدقاء الأسرة أيضاً. إذ يجد بعضهم الضرورة ملحة لتقديم بعض النصائح التي تتصف بشدة الإلحاح مما يفقدها الاستشاري لتصبح أقرب إلى الضغوط التي يتعرض لها الأبوان تارة. والشباب تارة أخرى وغالباً ما ترفق هذا النصائح بشروح ومسوغات تجعلها أقرب إلى التوجيه منها إلى النصيحة .

وإلى جانب ذلك يذهب فريق آخر من المبحوثين إلى القول بأن مواقف الآباء من تعليم أبنائهم يخضع في معظمه لرغبات مادية بالدرجة الأولى. فالغايات التي يتطلعون إليها تحقق كما يتصورون عائداً مادياً كبيراً كما هو الحال في مهنة الطبيب. أو المهندس .

ولهذا لا يستطيعون النظر إلى الغايات من زاوية الرغبات والمهارات التي يتمتع بها الأبناء. إنما من زاوية المردود المادي المتوقع من هذه الخيارات . وتختلف التفسيرات المعطاة لمواقف الآباء. فقد يأتي ذلك نتيجة حرص الآباء على مستقبل أبنائهم والعمل على توفير شروط حياة أفضل، وبخاصة أن ظروف الحياة في الوقت الراهن أصبحت عصيبة وشاقة. وتحتاج إلى طاقات وموارد مالية كبيرة حتى تتحقق عملية الاستقرار النفسي والاجتماعي .

فالآباء أصبحوا يشكون بقدرة المهن المختلفة على توفير ظروف الحياة المستقرة. وأن ينتهي الشباب من دراسته ليصبح موظفاً برواتب قليلة فهذا ليس من الطموحات التي يتطلع إليها الآباء. ولا من الأهداف التي يرغبون فيها بالنسبة إلى أبنائهم .

وإلى جانب ذلك يلاحظ فريق من الشباب أن إصرار الأبوين أو إصرار أحدهما على متابعة الأبناء لهذا الاختصاص أو ذاك إنما يحمل في مضمونه تعويضاً نفسياً عن الأهداف التي كان يتطلع إليها الآباء. فرب الأسرة الذي فشل سابقاً في متابعة تحصيله الدراسي أو في اختيار الاختصاص العلمي الذي كان يرغب فيه يبذل ما في وسعه لدفع أبنائه نحو الطريق الذي لم يستطع هو المضي فيه .

ويجد بعض الشباب أن العامل الاجتماعي يأتي خلف هذه المواقف في معظمها. فعندما يجد رب الأسرة أن أبناء أخيه أو أبناء عمه أو أي من أبناء قريته انتسبوا إلى الجامعات وحققوا نجاحاً كبيراً. ودرس بعضهم الطب أو الهندسة فمن الضروري أن يتبوا أبنائهم أيضاً المكانة الاجتماعية نفسها .

بل لابد من الأبناء أن يجتهدوا أكثر حتى يتفوقوا على أقرانهم من الأقارب أو أبناء القرية ففي ذلك مصدر اعتزاز للأسرة بأكملها ولهذا فإن نجاح الطالب إن هو في حقيقة الأمر إلا نجاح للأسرة بأكملها. ونجاح لرب الأسرة نفسه .

ويظهر أثر البعد الاجتماعي في تدخل الآباء بخيارات التعليم في توجيه البنات . حيث يلاحظ أن القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد تدفع الآباء في كثير من الأحيان إلى منع البنات من متابعة تعليمهم لاعتبارات اجتماعية .

وبخاصة عندما يكون التعليم خارج المحافظة مما يدفع بالفتيات والإناث بشكل عام للتنقل بين مكان الإقامة ومكان الدراسة . وهو أمر لا تجيزه العادات والأعراف السائدة في كثير من الأحوال .

وقد يأتي منع الفتيات والشابات من متابعة تحصيلهن الدراسي من ظاهرة الاختلاط بين الذكور والإناث التي تأخذ بها المؤسسات التعليمية في المرحلة الجامعية، فالاختلاط في العرف الاجتماعي مرفوض كلاً وجزئاً.

ومن الطبيعي في إطار هذه الثقافة أن تحجب الفتيات عن متابعة دراستهن أو عن متابعة دراستهن في اختصاصات لا يرضى عنها الأهل لعدم جدواها من جهة . ولكونها تخالف طبيعتها الأنثوية من جهة ثانية .

ولهذا يأخذ الأهل بمواقف متشددة من الأبناء وتصبح عملية التواصل بين الأجيال وحيدة الاتجاه .

وبالموازنة بين واقع الحال كما هو في المدن والمناطق الحضرية بالموازنة مع ما هو الحال في الأرياف يلاحظ أن أولياء الأمور في المناطق الريفية بصورة عامة هم أشد في علاقاتهم مع أبنائهم في مجال اختيار المجال التخصصي، وأن الفتيات يتعرضن لضغوط اجتماعية أكبر بصورة عامة وفي الأرياف بصورة خاصة .

ب مواقف الأبناء من خيارات المسألة التعليمية

يتخذ الأبناء الشباب من ذويهم مواقف اجتماعية متباينة، حيث يلاحظ ميل بعضهم إلى القبول والرضا بما يوجهه أولياء الأمور . وميل بعضهم الآخر إلى الرفض والبحث عن البدائل والخيارات المرتبطة بمشاعرهم وأحاسيسهم وعواطفهم . وإلى جانب ذلك يلاحظ أيضاً مجموعة أخرى تحاول التوفيق بين ما تطمح إليه من أهداف وما يحقق قبول الأهل ورضاهم .

نفي المجموعة الأولى: يلاحظ أن بضع الشباب يميلون إلى قبول رأي

أولياء الأمور ويأخذون بمجمل نصائحهم حتى مع غياب رغباتهم بشكل فعلي . بل يندفعون إلى التكيف مع ما يشار عليهم من آراء اعتقاداً منهم بأن لذويهم الخبرة والدراية التي تجعلهم قادرين على اختيار مجالات الدراسة المناسبة لهم .

وتزداد هذه المسألة وضوحاً بين الشباب اللواتي يعتقدن في كثير من الأحيان أن للآباء خبرة حياتية تتيح لهم إمكانية التمييز بين ما هو صالح وما هو مفيد من جهة. وبينما هو ضعيف الفائدة قياساً على الشروط الاجتماعية والمعيشية التي تعيشها الأسرة .

ويزداد هذا التوجه بين الإناث بصورة عامة بالموازنة مع الذكور ، ولكنه أكثر وضوحاً بين الإناث في المناطق الريفية بالموازنة مع الإناث في المناطق الحضرية . ذلك أن عمليات التواصل مع البيئة الاجتماعية التي تقيمها الأسرة المقيمة في الأرياف أقل مما هي عليه في الريف .

وما زالت ثقافة المجتمع الريفي أكثر تجانساً مما هي عليه في المدينة . ولهذا من الطبيعي أن تزداد عمليات الحراك الاجتماعي بما يترتب عليها من نتائج تمس طبيعة العلاقة بين الأجيال .

أما الشباب الذكور فتنتشر بينهم مظاهر عدم التوافق بدرجة تزيد عما هي عليه بين الإناث . ذلك أن الذكور بصورة عامة أكثر حركية ويتمتعون بإمكانات التواصل مع أصدقائهم بدرجة أكبر الأمر الذي يجعلهم أكثر تصلباً في مواقفهم نحو الاختصاصات التي يتطلعون إليها .

وبخاصة أن معايير التفاضل الاجتماعي السائدة بينهم تجعلهم يشعرون بأن مكانتهم الاجتماعية بين أصدقائهم رهن بمقدار إصرارهم على مواقفهم .

غير أن ذلك لا ينفي انتشار مجموعة من الشباب الذين يستسيغون مواقف أهليهم في مجال التعليم واختيار المجال التخصصي . ويعود ذلك إلى ذات الأسباب التي تدفع الإناث إلى هذه المواقف . فالثقة بالأبوين ، وبمحبتتهما ، وإخلاصهما ، بالإضافة إلى الشعور بنقص المعارف التي تمكنهم من اتخاذ القرارات الصحيحة كل ذلك يدفعهم إلى الاعتقاد بأن لذويهم خبرة تساعد في اختيار المجالات الأفضل .

كما يلاحظ أيضاً أن أبناء الريف بصورة عامة أكثر توافقاً مع ذويهم في اختيار الاختصاصات العلمية المطلوبة من أبناء المناطق الحضرية ، وأبناء المدن ويعود

ذلك إلى الأسباب نفسها التي تمت الإشارة إليها. فالحرّاك الاجتماعي في المدن يسهم في انتشار معايير اجتماعية متعددة وخيارات واسعة .
أما في الأرياف حيث تسود مظاهر التجانس بدرجة أكبر فإن الأبناء يتوافقون في كثير من الأحيان مع ذويهم.

كما أفادت شريحة واسعة من الشباب الذكور والإناث على حد سواء .وفي المدينة والريف أيضاً .أن ذويهم لم يمارسوا عليهم ضغوطاً كبيرة في اختياراتهم الدراسية .وتأتي قراراتهم في اختيار الاختصاصات العلمية المرغوب بها إثر الحوار وتبادل الرأي الذي ينفي صفة الإكراه أو الإجبار ويلاحظ أن هذه الشريحة واسعة أيضاً في الوسط الاجتماعي المدروس وإن كانت أكثر انتشاراً في المناطق الحضرية مما هي عليه في الأرياف .

إن التنوع الملاحظ في مواقف الأبناء من ذويهم بصورة عامة .وفي مجال التعليم بصورة خاصة يأتي منسجماً تماماً مع تباين مواقف الأهل وأولياء الأمور . الوقت الذي يلاحظ فيه أن الآباء انقسموا بشكل غير مباشر إلى ثلاث مجموعات . تؤمن المجموعة الأولى بمفهوم السلطة الأبوية كما كانت في الماضي مع تعديلات بسيطة عليه في الوقت الراهن، ومجموعة تؤمن بالحوار والمناقشة، ومجموعة ثالثة تعمل على التوفيق بين الاتجاهين المتطرفين السابقين .

ثانياً التواصل بين الأجيال وقضايا العمل :

تستحوذ قضايا العمل على اهتمام الآباء والأبناء على حد سواء .غير أن الدوافع التي وراء موقف كل منهما إزاء الآخر مختلفة تماماً فالأبناء بصورة عامة، وبخاصة أولئك الذين تسربوا من الدراسة يسعون إلى البحث عن فرص عمل يتطلعون إليها .ويحققون من خلالها أهدافهم وطموحاتهم .وإلى جانب ذلك يولي الآباء اهتماماً كبيراً بعمل الأبناء لما يترتب عليه من آثار ونتائج تمس مستقبل الأبناء .

أ -مواقف الآباء من العمل المفضل للأبناء :

يلاحظ معظم الأبناء ممن لهم صلة بقضايا العمل أن ذويهم يمارسون عليهم ضغوطاً نفسية كبيرة لاختيار مجالات العمل المفضلة بالنسبة إليهم .

بصرف النظر عن مواقف الأبناء من هذه الأعمال .وبصرف النظر عن اهتماماتهم ورغباتهم، ويلاحظ الأبناء أن المشكلة تظهر تماماً كما هي في خيارات التعليم . حيث يمارس الآباء قدراً كبيراً من الضغوط حتى تأتي قراراتهم متوافقة مع رغبات الآباء أكثر من توافقها مع رغباتهم .ويجد بعض الأبناء أن اهتمامات ذويهم مركزة على تحصيل أكبر قدر ممكن من التعويضات المادية بصرف النظر عن طبيعة العمل الذي يمارسه الأبناء وبصرف النظر عن الجهد الذي يمارسه الأبناء في هذه الأعمال .

ب - مواقف الأبناء من العمل المفضل :

توصف مواقف الشباب من ذويهم بالمعارضة الشديدة العلنية تارة، والمضمرة تارة أخرى والقبول والقناعة تارة ثالثة، وجاءت هذه الاتجاهات متباينة بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية بشكل واضح .كما أنها تختلف بين الذكور والإناث بشكل أكثر وضوحاً.

ففي المناطق الريفية والمناطق الشرقية بشكل عام يلاحظ أن الشباب أكثر ميلاً لتقبل آراء ذويهم والأخذ بها في كثير من الأحيان، بينما يلاحظ أن أبناء المدن والمناطق الحضرية بشكل عام كانوا أكثر ميولاً لرفض آراء ذويهم، والمطالبة بخيارات يعتقدون أنها من صنعهم، وتلبي حاجاتهم ورغباتهم .

ثالثاً التواصل بين الأجيال وقضايا الإنفاق الشهري :

تعد النفقات الشهرية واحدة من مواضيع الاتصال الأساسية بين الآباء والأبناء بصورة عامة .

وليس من اليسير وجود أسرة تخلو من هذه العلاقة، فلا بد للشباب له من الحصول على مصروف شهري من والديه يحقق من خلاله حاجاته المختلفة الأساسية منها والترفيهية، وغالباً تنشأ بسببه مجموعة من المشكلات الاجتماعية بين الآباء والأبناء تبعاً لدرجة مستوى المعيشة، وطبيعة الصلات التي يقيمها الشباب مع أصدقائهم وأقرانهم، وتبعاً للمستويات الثقافية والتعليمية التي يتصف بها الأبناء والآباء على حد سواء .

أ- مواقف الآباء من مصروف الأبناء :

يلاحظ أن مواقف الآباء من مقدار المصروف الشهري الذي يمكن تخصيصه لأي من الأبناء جاءت مختلفة تماماً ، وبرغم ذلك كانت في جميع الأحوال دون ما يتطلع الأبناء، ذلك أن الآباء يسعون دائماً إلى التقليل من حجم الإنفاق الذي يطالب به الأبناء، بصرف النظر عن مستوى معيشتهم، وبصرف النظر عن مستوى ثقافتهم وتعليمهم .

كما يلاحظ أن الأبناء يطالبون آبائهم بنفقات شهرية عالية إذا ما قيست بإمكانيات الأسرة وطاقاتها. ويشمل ذلك حتى الشباب الذين ينتسبون إلى أسر ذات مستويات معيشية مرتفعة .

وقد لوحظ أيضاً أن مواقف الآباء تختلف أيضاً مع اختلاف أبنائهم الذكور أو الإناث، ففي حين أفاد بعض الشباب من أفراد العينة بأن الآباء يسوغون ارتفاع حجم المصروف بالنسبة إلى الإناث بالموازنة مع الذكور هي بسبب عدم قدرة الفتيات عن الخروج وتأمين دخول أخرى .

وأن الفتيات بشكل عام ضلع قاصر ، يلاحظ أيضاً أن مجموعة أخرى من الآباء تجد العكس حيث تسوغ ارتفاع حجم النفقات للذكور بالمقارنة مع ما عليه بين الإناث، ذلك أن الشباب الذكور يتعرضون خلال حياتهم لعملية التواصل مع البيئة . وهم مدفوعون للاحتكاك مع البيئة أكثر، وتقع على عاتقهم مسؤوليات أكبر ، ولهذا يجب أن تزيد مصاريفهم عما هي عليه بين الإناث .

كما لوحظ أن المسألة تخالف أيضاً باختلاف المواقع الاجتماعية التي يشغلها الشباب والأبناء ببعض الصلاحيات المعيشية الخاصة ضمن الأسرة، فإن مخصصاتهم الشهرية تأتي مرتفعة أكثر من الأبناء الشباب الأقل سناً الذين لا يتمتعون بهذه الصلاحيات، قد يكون الأبناء المعنيين بهذه الصلاحيات من الذكور وقد يكونوا من الإناث أيضاً .

أما فيما يتعلق بقيمة المصروف الشهري المخصص للشباب، فقد جاءت متباينة، لكن متوسطها العام كان قريباً من (3500) ليرة سورية شهرياً . أما

مصادر التباين في قيمة المصروف فقد جاءت في المناطق الريفية أقل مما هي عليه في المناطق الحضرية، ويعود ذلك إلى أن أوجه الإنفاق في الريف بصورة عامة أقل مما هي في المدن ليس بالنسبة إلى الشباب فحسب بل بالنسبة إلى الأسر بشكل عام .

ولهذا يلاحظ أن مواقف الآباء كانت مختلفة بين الريف والمدينة، فالآباء في المناطق الريفية أكثر تشدداً لضيق سوء الاستهلاك، بينما يلاحظ أن هذا التشدد يتضاءل مع اتساق السوق الاستهلاكية في الوسط الاجتماعي، فحيث تكون مستويات المعيشة أفضل، وحيث تنتشر المطاعم والنوادي التي تستقطب اهتمام الشباب وتزداد جماعات الأقران يلاحظ أن الآباء يسوغون لأبنائهم مصاريف مرتفعة نسبياً بالموازنة مع البيئات التي لا تنتشر فيها أوجه الإنفاق المتعددة المشار إليها . فقد يجد الآباء ما يسوغ إقدام أبنائهم على دعوة الأصدقاء للمطاعم والنوادي وما يترتب على ذلك من نفقات تعد مرتفعة نسبياً، في حين يلاحظ أن أرباب أسر أخرى لا تسوغ ذلك بسبب ضعف انتشاره في البيئة التي يعيشون فيها .

وكما يختلف موقف الآباء بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية، كذلك يختلف الأمر بين الأسر ذات المستوى المعيشي المرتفع وبين الأسر ذات المستوى المعيشي الأضعف، فالأسر ذات المستوى المعيشي المرتفع تسوغ لأبنائهم النفقات المرتفعة، وتنظر إلى ذلك على أنه حق من حقوقهم، وبخاصة إذا كان الأبوان يميلون إلى حب المظاهر ، وتنتشر في حياتهم معايير التفاضل الترفي.

أما في إطار الأسر ذات المستوى المعيشي المتوسط والضعيف فغالباً ما تميل إلى تحجيم مخصصات المصروف الشهري للشباب بحسب إمكانياتها ومصادر دخلها .

وأخيراً تختلف مواقف الآباء من حجم المصروف الشهري لأبنائهم باختلاف الجنس بين الشباب، ففي حين يميل بعض أرباب الأسر على تفضيل الإناث

وجعل مصروفهم الشهري أعلى من مصروف الذكور بسبب محدودية مصادر الإنفاق بالنسبة إليهم من جهة ووجود نفقات خاصة بالإناث لا يتدخل فيها الآباء بالضرورة. يميل بعضهم الآخر إلى القول بأن حجم الإنفاق بالنسبة إلى الذكور لابد أن يكون أعلى من حجم الإنفاق المخصص للإناث .

ذلك أن الذكور يقومون مقامهم في الكثير من الأمور .وغالباً ما تتاح للأبناء الذكور إمكانية اتخاذ قرارات تخص أخواتهم الأصغر .كما أن الشباب الذكور يشاركون آبائهم في الكثير من الأمور .

كما يختلف موقف الآباء أيضاً باختلاف أوضاع الأبناء الشباب أنفسهم، فالأبناء الذين يمارسون أعمالاً منتجة في أي مجال من مجالات العمل لا يحتاجون إلى نفقات مخصصة لهم تكافئ تلك المخصصة للأبناء العاطلين عن العمل .أو تلك المخصصة للأبناء الطلبة في مرحلة التعليم الثانوية، أو المخصصة للأبناء الطلبة في مرحلة التعليم الجامعي .

فلكل شريحة من هذه الشرائح مطالبها وحاجاتها التي تختلف باختلاف ظروفها وشروط حياتها .ولهذا تأتي مواقف الآباء مختلفة أيضاً باختلاف هذه الظروف .

يلاحظ أن مواقف الآباء من مصروف الأبناء ليست محددة بقوالب ثابتة في مختلف الظروف .فهي تختلف بين المدينة والريف وتختلف باختلاف مستويات المعيشة، وباختلاف المستوى الثقافي والتعليمي للأب .وباختلاف الجنس بين الأبناء أنفسهم، الأمر الذي ينفي إمكانية القول بنمط ثابت لعلاقة الآباء مع أبنائهم .

ب -مواقف الشباب من النفقات الشهرية المخصصة لهم :

يلاحظ أن مواقف الشباب كانت بصورة عامة تميل إلى عدم الرضا عن حجم المصروف الشهري المخصص لهم من قبل ذويهم غير أن هذه المواقف ليست شاملة لكل الشباب، فقد لوحظ أن عدداً غير قليل من الشباب الذين وجدوا ما يسوغ لأبائهم تحجيم الإنفاق، والتقليل من المصاريف .كما أن عدداً آخر عبر عن

مواقف سلبية من أرباب الأسر المحدودية النفقات التي يقرونها لأبنائهم .
غير أن مواقف الشباب اختلفت أيضاً باختلاف نمط المعيشة (حضر ريف)
وباختلاف مستويات معيشة الأسرة .

وباختلاف الجنس (الذكور والإناث) وباختلاف طبيعة الصلات الاجتماعية التي
يقيمها الشاب مع أقرانهم، وباختلاف مجموعة أخرى من العوامل .
ففي مراكز المدن والمناطق الحضرية بشكل عام توصف الصلات الاجتماعية
التي يقيمها الشباب مع أقرانهم بأنها واسعة بالمقارنة مع ما هي عليه في
الأرياف وطرق شغل أوقات الفراغ مختلفة نسبياً . كما أنها تدعو إلى ارتفاع
النفقات المصاريف المترتبة عليها. بينما توصف هذه الصلات في الأرياف بأنها
أكثر محدودة .

ولا تتطلب عملية شغل أوقات الفراغ تلك النفقات المنتشرة في مراكز المدن
ولهذا فمن الطبيعي أن ترتفع قيمة النفقات المطلوبة من قبل الشباب في
مراكز المدن والمناطق الحضرية بالمقارنة مع ما هي عليه في الأرياف والمناطق
الريفية بشكل عام .ولهذا السبب أيضاً فإن تدمير الأبناء من ضالة النفقات التي
يقدمها الأهل تنتشر بقوة في المدن بدرجة تزيد عما هي عليه في الريف .
وتظهر هذه الفروق جلية وواضحة بدرجة أكبر مع اختلاف مستويات المعيشة
حيث يلاحظ أن الأبناء في الأسر ذات المستوى المعيشي المرتفع يتدمرون أكثر
من قلة النفقات المخصصة لهم ذلك أنهم يلاحظون أن ضالة هذه النفقات لا
تعود إلى عدم قدرة الأهل بقدر ما تعود إلى الرغبة في ضبط الإنفاق، في الوقت
الذي يلاحظون فيه أن ذويهم يتمتعون بمستوى معيشي يمكنهم من تلبية
حاجات أبنائهم دون معاناة كبيرة .

ولهذا يظهر استيائهم من مواقف ذويهم .أما في الأسر ذات المستوى
المعيشي المتوسط، أو الضعيف فغالباً ما يجد الأبناء الشباب ما يسوغ لأسرهم
تحجيم الإنفاق المخصص بما يناسب الوضع المادي لأسرهم وما يناسب مصادر
دخل الأسرة .وبرغم ذلك فإن الأمر لا يخلو من أبناء يتدمرون كثيراً من ضالة

مخصصاتهم ويندفعون إلى أنماط سلوكية غير سوية لتلبية حاجاتهم لا ترضي أسرهم ولا المجتمع الذي يعيشون فيه .

ويضاف إلى ذلك أن مواقف الأبناء تختلف أيضاً باختلاف الجنس . فالإناث بشكل عام أميل إلى قبول ما يخصص لهم من قبل ذويهم، وأقل تدمراً، ويعود ذلك إلى اعتبارين:

الأول ذاتي ويتعلق بطبيعة الإناث أنفسهن من جهة وما يحيط بهن من ظروف الرعاية والاهتمام وإحساس الأهل بالمسؤولية المباشرة عليهن .

والثاني موضوعي يخص البيئة الاجتماعية التي تعيشها الأنثى . فغالباً ما تقضي الفتاة أوقات الفراغ داخل المنزل برفقة صديقاتها أو بمعزل عنهن . وتزداد هذه الظاهرة وضوحاً في الأرياف .

أما الخروج إلى المطاعم وشغل أوقات الفراغ خارج المنزل بالنسبة إلى الإناث فغالباً ما يكون ضعيفاً . ولهذا فإن الإناث غالباً ما تكون مواقفهم متوافقة مع مواقف ذويهم . أو على الأغلب تكون معارضتهم قليلة . كما يلاحظ أيضاً أن مواقف الأبناء من النفقات المخصصة لهم من قبل الأهل تتأثر بطبيعة العلاقات الاجتماعية التي يقيمونها مع أقرانهم، ففي حين يلاحظ أن شريحة من الشباب تميل إلى تحجيم هذه العلاقات والاقتصار على الضروري منها .

بحيث يأتي ذلك منسجماً مع حاجات الدراسة أو الحاجات التي تقتضيها ظروف العمل أو خلافه . يلاحظ أن شريحة أخرى تأخذ بالتوسع في العلاقات الاجتماعية مع الأقران وتخرج هذه العلاقات عن الحدود التقليدية لتصبح الشغل الشاغل لهذه الشريحة .

وغالباً ما يترتب على هذا التوسع في العلاقات زيادة في النفقات الشهرية . ولهذا يتدمر الأبناء من ضيق النفقات وقلتها بالموازنة مع حاجاتهم .

وتشير هذه المقارنات بصورة عامة إلى أن مواقف الشباب من ذويهم بخصوص النفقات الشهرية المخصصة لهم تختلف باختلاف مجموعة كبيرة من العوامل الاجتماعية والنفسية ولا توجد إمكانية للقول بنمط واحد يحدد موقف

الأبناء من الآباء .فهناك المؤيدون لذويهم وهناك المعارضون، كما يلاحظ أيضاً وجود شريحة معتدلة .

فهي تقبل دون قناعة تارة وبقناعة تارة أخرى .وبالإجمال إن مظاهر التناقص أقل من مظاهر التنافر والصراع .

رابعاً - مواقف الأهل والشباب والعلاقة بين الذكور والإناث

ضمن الأسرة :

توصف العلاقة بين شريحة الأبناء الشباب وذويهم بأنها من النوع التوافقي بصورة عامة .وعلى الرغم من ذلك ترافق هذه العلاقة مجموعة من المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها الشباب .ولا يجدون لها حلاً في سياق العادات والتقاليد السائدة.

• ويظهر ذلك بشكل واضح من خلال أمور عديدة

أهمها :

- يقوم الابن الأكبر في كثير من الأحيان مقام الأب في حال غيابه حيث تعطى له صلاحيات الأب في تقرير مجموعة من المسائل، وبخاصة تلك التي تتعلق بالشجار بين الأخوة أو علاقة الذكور بالإناث أو علاقة الأخوة الصغار بوالدتهم أو غير ذلك من القضايا والمشكلات التي يمكن ظهورها خلال سيرورة الحياة الاجتماعية .

-وفي الوقت الذي تعزز فيه هذه العملية مكانة الابن الأكبر مع والده وتجعله يتحسس المشكلات الاجتماعية .إلا أنها تولد جملة من المشكلات أيضاً، وبخاصة عندما تكون الفروق العمرية بين الأخوة ضئيلة لا تجاوز السنة الواحدة أو السنتين مثلاً .حيث توصف كفاءة الأبناء بأنها متماثلة لتقارب أعمارهم .في الوقت الذي يشعر فيه الأخ الأكبر بوصايته النسبية .ويسيطر على الأخ الأصغر الشعور بالرفض المضمّر الذي يؤدي إلى نشوء قدر من التنافس حول القرارات التي يتخذها أي منهما .

-كما أن تدخل أحد الأبوين لصالح أحد الأبناء يعزز من التنافس بين الأخوة .
فتأتي النتائج على غير ما توقعه الأب أو ما توقعته الأم، ولهذا يؤدي مستوى
الفهم الذي يتمتع به كل من الأبوين عاملاً أساسياً من عوامل استقرار الأسرة، أو
عاملاً من عوامل اضطرابها وعدم استقرارها .

-تعاني الفتاة الشابة، إذا كانت الأكبر سناً من مشكلات خاصة، فهي من جهة
الأكبر بين أخوتها . الأمر الذي يفرض عليها مجموعة من المسؤوليات
الاجتماعية، وهي في الوقت نفسه أنثى تأتي قراراتها في الموقع الثاني من
الأهمية بعد الذكور ، ولهذا يصبح موقفها من قضايا أخوتها مضرباً فالأخوة
الذكور ، وبخاصة القريبين منها في عمرها يجدون أنفسهم هم الأقدر على اتخاذ
القرار، في الوقت الذي تنقصهم فيه القدرة والكفاءة، فيقدمون على ممارسة
أفعال واتخاذ قرارات ليست مناسبة .

وغالباً ما يترتب على ذلك إما أن تتعزز مشكلاتها مع أخوتها الشباب، أو عليها
التنازل عن الكثير من صلاحياتها حتى تحافظ على استقرار الوضع دون
مشكلات .

● أما مواقف الشباب من القضايا المطروحة فتتمثل في ثلاثة

اتجاهات أساسية يمكن إجمالها على النحو الآتي :

-يميل الشباب بشكل عام، ومن الجنسين الذكور والإناث، إلى ضرورة أن
تكون العلاقة بين الذكور والإناث ضمن الأسرة قائمة على الاعتدال والتوازن
دون أن تكون مبنية على مبدأ التفاضل، وعلى مبدأ اتخاذ القرار، وفي الوقت
الذي يلاحظ فيه أن الإناث بصورة عامة يعانون من مشكلة أفضلية الذكور في
اتخاذ القرارات، يلاحظ أن شريحة منهن تسوغ أفضلية الذكور في اتخاذ أكثر
حركية وتفاعلاً مع الواقع .

وقد تأتي مهاراتهم أوسع، ولهذا تطالب شريحة الإناث الأبوين بشكل عام أن
يكونوا أكثر عدالة في مواقفهم . مع الإشارة إلى أن شريحة من الإناث أيضاً
أكدت على وجود هذه العدالة في مواقف الأبوين نحو أبنائهم، الأمر الذي ينفي

إمكانية القول بتطرف الأبوين على نحو اعتباطي، أو تطرفهما بشكل كامل .
-والى جانب ذلك ينتشر بين شريحة أخرى من الإناث بأن التطورات الاجتماعية والتغيرات الملحوظة في مجالات عديدة جعل الفتاة تقف جنباً مع الفتى الشاب في معظم المواقف، وتؤدي أدوارها بالشكل الذي يفوق أداء الشباب الذكور ، ولهذا لم يعد من الجائز أن يأخذ الآباء بتفضيل الأبناء الذكور لما ينطوي ذلك على جهل بتطورات العصر وتحدياته التي جعلت قضية المرأة في مقدمة القضايا الاجتماعية التي لا بد من الاهتمام بها والعمل على معالجتها العلاج الصحيح الذي يناسب تطورات العصر وتغيراته .

-أما الشباب الذكور فمازال عدد كبير منهم يمتلك إحساساً بالمسؤولية الاجتماعية نحو أخواتهم الإناث .ولهذا فإن مواقفهم من أبويهم مختلفة، فبعضهم يرى أن الآباء متساهلة مع الإناث، وبخاصة عندما تترك لهن حرية الخروج والدخول، بما يدفعهم إلى اتخاذ مواقف سلبية إزاء أبويهم، بسبب هذا التساهل أو التراخي، فالفتاة برأي هذه المجموعة مازالت أقل حركية، والمجتمع مازال شديد المراقبة على كل فرد من أفرادها .

ولهذا لا يجوز أن تترك الأمور لمسارات التطور التلقائي لما يترتب عليه من فوضى وتوريط الأشخاص ذوي الكفاءات الضعيفة بمشكلات اجتماعية ونفسية بالغة التعقيد ولهذا يميل أفراد هذه المجموعة إلى التشدد في متابعة الأمور حتى لا تكون الفتاة ضحية التطور غير الواعي .

-والى جانب ذلك، وترى شريحة أخرى من الشباب أن التطور الملحوظ في الحياة الاجتماعية جعل الفتيات على مستوى الذكور في كفاءاتهم ومهاراتهم الاجتماعية، ولهذا ينظرون إلى مواقف الآباء المتشددین على أنها مواقف متخلفة ولا تسير تطورات العصر، ولقد آن الأوان الذي تعطى فيه المرأة حريتها بالقدر الملحوظ لدى الرجل، فعلى الرغم من كل التطورات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية مازالت هناك آراء تدعو إلى التفريق بين الذكور والإناث . وهذا يدل على انتشار مظاهر الجهل والتمسك بالعادات والتقاليد البالية .

-أما ما يترتب على هذه التباينات في الآراء من مشكلات تخص العلاقة بين الآباء والأبناء .فيلاحظ توزع الأبناء بحسب هذه المشكلات في ثلاث زمر أساسية :
ظهر في الأولى التوافق بين الآباء والأبناء .سواء جاء هذا التوافق لصالح قضية المرأة أو ضدها.

وظهر في الثانية عدم التوافق، ولكن دون أية مشكلات، ذلك أن للشباب آراء وأفكار تخلف آراء والديهم، ولكنهم يحترمون مواقف الأهل ولا يعارضونها بشكل علني أو صريح تقديراً لما للأب من مكانة اجتماعية ودور أساسي في تنشئة الأبناء .وتجتمع في هذه الشريحة أيضاً فئات الشباب التي لا تتوفق مع مواقف الأهل لصالح المرأة وفئات الشباب الذي لم يتوافقوا مع الآباء لصالح أفضلية الذكور في المجتمع والأسرة .

أما المجموعة الثالثة، وهي ضعيفة الانتشار .فتخص الشباب الذين كانت لهم مواقف سلبية من الآباء بسبب مواقفهم من الإناث إما لصالح الإناث أو لصالح الذكور.

خامساً - التواصل بين الأجيال واختيار الأصدقاء :

يعد اختيار جماعات الأقران والأصدقاء من المسائل الأساسية والهامة بالنسبة إلى الشباب بصورة خاصة .وبالنسبة إلى الأسر بصورة خاصة، إذ تسهم جماعات الأقران والأصدقاء في تكويني اتجاهات الشاب نحو مجموعة واسعة من القضايا النفسية والاجتماعية والثقافية والحضارية .

وغالباً ما تنتشر مظاهر الانحراف وممارسة أنماط سلوكية يعاقب عليها القانون بتأثير جماعات الأقران والأصحاب من ذوي الاتجاهات النفسية والاجتماعية الخاصة .ولهذا يولي أرباب الأسر أهمية كبيرة بجماعات الرفاق والأقران الذين يمكن أن يؤثر في التكوين النفسي والاجتماعي لأبنائهم .

كما أن وجود الأقران في حياة الفرد يعد ضرورة من ضرورات تنشئته واكتسابه المعايير والقيم والمعارف والاتجاهات المختلفة .وغالباً ما يوصف الشباب الذين

يمتنعون عن تكوين صداقات بأنهم أقل نضوجاً من أولئك الذين كانت لهم صداقات واسعة ومعارف تسهم في تلبية حاجات الفرد على نحو واسع .

ولهذا تعد عملية اختيار الأصدقاء والأقران سلاحاً بحدين قاسيين، فإذا أحسن تنظيمها وتحققت بالتعاون والتنسيق العقلاني بين الآباء والأبناء فإنها تجني ثمارها، وتسهم في تنمية مهارات الأبناء، وتعزز اتجاهاتهم وقيمهم نحو القضايا التي يعيشونها ، في الوقت الذي يمكن أن تسهم فيه .إذا لم يحسن تنظيمها بأسلوب التعاون، بتعزيز قيم اجتماعية غير مرغوب فيها من قبل الأسرة، ولا حتى من قبل المجتمع، وقد تدفع الشباب إلى الانحراف الاجتماعي .

ويلاحظ من خلال جلسات الحوار العملية مع شرائح الشباب المختلفة أن أرباب الأسر تأخذ مواقف متباينة من أبنائهم، مع الإشارة إلى أن أغلب الحالات أشار بشكل واضح إلى أن أولياء الأمور يتدخلون بصورة عامة في اختيار الأصدقاء . ولكنهم يتفاوتون في مواقفهم نحو الأصدقاء الذين يتم اختيارهم من قبل الشباب .فيوصف بعضهم بالشدة، ويوصف بعضهم الآخر بالتراخي، وبرغم ذلك فإن هذه المواقف تختلف باختلاف عمر الشباب، وباختلاف مناطق الاستقرار الحضرية أو الريفية، وباختلاف الذكور والإناث، وغير ذلك من الاعتبارات .

كما أن اتجاهات الشباب نحو مواقف ذويهم من اختيارهم للأصدقاء جاءت مختلفة أيضاً باختلاف مجموعة واسعة من العوامل، بين الريف والحضر، وبين الذكور والإناث، وبين الشباب في فئات الأعمار الأقل، والشباب في فئات الأعمار الأعلى، وباختلاف مستويات التعليم .

أ - مواقف الأبوين من اختيار الشباب لأصدقائهم :

يفيد الشباب بأن ذويهم يأخذون مواقف متباينة من اختيارهم للأصدقاء، فيعترض بعضهم على اختيار هذا الصديق أو ذاك لأسباب متعددة، ولا يتدخل بعضهم الآخر في ذلك، وهناك فريق ثالث يتدخل أحياناً ويبتعد أحياناً أخرى تبعاً لطبيعة الأصدقاء الذين يتم اختيارهم .

أما بالنسبة إلى الشريحة الأولى فيلاحظ أن تدخل الأبوين في اختيار الشباب لأصدقائهم يزداد في المناطق الحضرية، ومراكز المدن بالموازنة مع ما هو في الأرياف والقرى، وبخاصة بالنسبة إلى الشباب في فئات الأعمار الأقل.

● وفي إطار المستويات التعليمية المنخفضة، ويعود ذلك

إلى الاعتبارات الرئيسية التالية :

- إن الشباب في المدن والمراكز الحضرية بصورة عامة يتعرضون للاحتكاك والتواصل مع مجموعات من الشباب متنوعة المشارب . وقد لا يعرف الأهل عن هؤلاء الشباب إلا القليل في الوقت الذي تزداد فيه مظاهر الانحراف ويشعر الآباء بخطورة ترك الأبناء وشأنهم في هذا الموضوع .

فضلاً عن أن التواصل غير السليم يؤدي أيضاً إلى انخفاض التحصيل الدراسي لدى الشباب بسبب إشغالهم لأوقات الفراغ بصورة غير سليمة، ولهذا يجد الآباء أنفسهم مدفوعين على التحقق من صحة اختيار الشباب لأصدقائهم وللأصول الاجتماعية والمستويات التعليمية لهؤلاء الأصدقاء .

- أما في الأرياف والقرى بصورة عامة . فيختلف الأمر بوجوه كثيرة، فالوسط الاجتماعي الذي تعيشه الأسرة، بما في ذلك الأبناء يكاد يكون معروفاً بالكامل، فما من شاب من شباب القرية إلا ويعرف الأبوين أسرته وأقاربه مما يجعلهما أكثر اطمئناناً مما هو الحال في المدن . ولهذا يأتي تدخل الأبوين أقل مما هو عليه في المناطق الحضرية، وحتى في هذه المناطق، إذا ما شعر الآباء بأن أبنائهم يقيمون صداقاتهم شباب معروفين بالنسبة إليه وهم بسمعة طيبة وأخلاق حسنة ، فن تدخلهم في ذلك يكون ضعيفاً.

فيزداد التدخل إذا ساور الأبوين الشك في استقامة أي من الأصدقاء المحيطين بأبنائهم .

- كما أن تدخل الأبوين بصورة عامة يختلف باختلاف جنس الشباب . فتدخل الأهل يزداد بالنسبة إلى الإناث بالموازنة مع الذكور . ذلك أن النتائج الاجتماعية

التي يمكن أن تترتب على الصداقات غير السليمة أكثر خطورة بالنسبة إليهن مما هي عليه بالنسبة إلى الذكور . وقد تتورط الفتيات في مشكلات اجتماعية تمتد آثارها إلى الأبوين والأسرة وغيرها .

-ويختلف هذا التدخل أيضاً باختلاف فئات أعمار الشباب ومستويات تعليمهم، ففي إطار مجموعة الشباب في المراحل التعليمية الأقل يزداد تدخل الأسرة . بينما يضعف هذا التدخل بالنسبة إلى طلبة الجامعة في المراحل التعليمية الأعلى . ذلك أن ثقة الأبوين بأبنائهم تزداد ومسؤولياتهم الاجتماعية تضعف . كما أن عمليات التواصل التي يقيمها الأبناء مع أقرانهم تصبح عصية على المراقبة والمتابعة ولهذا يتمتع الشباب في هذه المراحل باستقلالية أكبر تتيح لهم إمكانية التواصل مع أقرانهم بدرجة أكبر.

-كما تسهم العوامل الذاتية المتعلقة بالآباء في توضيح مظاهر الاختلاف في تدخلهم باختيار أبنائهم للأصدقاء . ذلك أن مستوى تعليم الأب وطرق تربيته لأبنائه وطبيعة العمل الذي يمارسه، وخصوصية التجارب الحياتية التي عاشها كل منهم ومستوى معيشة الأسرة وعدد الأبناء فيها، ومتوسط حجم الإعالة، وطبيعة روابط القربى في محيط الأسرة وغير ذلك من الاعتبارات تؤثر في مواقف مواقف من عملية الاختيار، فالآباء الأقل خبرة ومعرفة بأمور الحياة الاجتماعية .

وبصورة عامة يلاحظ أن تدخل الأبوين في اختيار الأبناء لأصدقائهم مبني على مقدار الثقة التي يتمتع بها هؤلاء الأصدقاء من جهة وعلى مستوى النضج النفسي والاجتماعي الذي يتصف به الأبناء أنفسهم .

ب - مواقف الآباء الشباب من تدخل الأهل :

كما يختلف الآباء في مواقفهم من اختيار أبنائهم للأصدقاء المفضلين بالنسبة إليهم كذلك يختلف الآباء في اتجاهاتهم نحو هذه المواقف . وفي الوقت الذي يسوغ فيه الآباء تدخلهم في شؤون أبنائهم انطلاقاً من قناعتهم بأن هذه المواقف مبنية على إيمانهم بمصلحة الأبناء .

وما يفيدهم في مستقبلهم ويجنبهم مخاطر التورط في قضايا ليست لديهم خبرة في معالجتها، يدافع الأبناء عن استقلاليتهم انطلاقاً من قناعتهم بأنهم صاروا على مستوى من النضوج النفسي والاجتماعي الذي يمكنهم من اختيار أصدقائهم دون تدخل مباشر من ذويهم.

• ويمكن توضيح اتجاهات الشباب نحو مواقف ذويهم

بالاعتبارات التالية :

- يلاحظ أن شريحة من الشباب تقف إلى جانب الأبوين في تدخلهما في اختيارهم للأصدقاء . فهم على قناعة بأن أصدقاء السوء يمكن أن يسهموا في توريط الأبناء بقضايا اجتماعية ونفسية متعددة لا يستطيعون الخروج منها إلا بمساعدة الأهل . ولهذا فهم يسوغون للآباء تدخلهم بهذا الموضوع نظراً لما يترتب عليه من آثار سلبية في حياة الشباب أنفسهم وقد لوحظ بأن هذه المواقف هي بين الشباب الأقل في فئاتهم العمرية بصورة عامة، وهي أكثر وضوحاً في الأسر التي يسود فيها مبدأ المشاركة في الحياة الاجتماعية الأسرية وأكثر انتشاراً بين الإناث مما هو عليه بين الذكور .

- وتجد شريحة أخرى أن الصداقة الحقيقية التي يمكن الاعتماد عليها في الحياة الاجتماعية إنما هي صداقة الأهل . ذلك أن الأم كانت تعد الصديقة الأولى لعدد من الشابات حيث تتم من خلال هذه الصداقة عملية التعرف على الأشياء . كما أن عدداً من الشباب الذكور وجدوا أن أفضل صداقة يشعرون فيها هي صداقة الأب، حيث يتعرف الشاب من خلالها على أشياء كثيرة كما أنه يثق بمصدر معلوماته ولا يساوره أي شك فيها . ولهذا لا مسوغ نهائياً . وفق رأي هذه الشريحة من الشباب رفض رأي الأهل في الأصدقاء الذي يتم اختيارهم على أساس خبراتهم ومهاراتهم الشخصية ويلاحظ أن هذه الشريحة كانت أكثر انتشاراً في الأرياف، وبين فئات الأعمار الأقل، وبين الإناث .

- وإلى جانب ذلك، يلاحظ أيضاً أن فريقاً آخر من الشباب نظر إلى تدخل الأهل على أنه لا يتوافق مع مرحلة التطور الاجتماعي والثقافي التي يعيشها المجتمع

في الوقت الراهن، فلم يعد أي مسوغ منطقي أو اجتماعي لأن يتخذ الآباء هذه المواقف لاعتبارات كثيرة، أهمها أن الأبناء يكتسبون اليوم مجموعة كبيرة من المهارات والكفاءات التي لم تكن لذويهم من قبل .

وباتت قدرتهم على اختيار الأصدقاء كبيرة وواسعة أيضاً، مع احتمال أن لا يوفق الجميع في عملية الاختيار، غير أن الرؤية العامة لا يجوز أن تتأثر بالاستثناءات وتبطل ما هو عام . كما أن الأحكام التي يطلقها الآباء على الأصدقاء غالباً ما تكون أحكام غير حقيقية ومبنية على تقديرات شكلية، تتعلق أحياناً بما يرتدي الأصدقاء من لباس أو طريقة الحلاقة، أو أسلوب الحوار . وغير ذلك، ولو أن الآباء أخذوا يتعمقون بشخصية الأصدقاء المختارين لوجدوا فيها الشيء الكثير الذي يعجبهم ، ولهذا فإن أحكام الآباء غالباً ما تأتي سطحية وغير مبنية على رؤية عميقة، فضلاً عن أن هذا ليس من شأنهم، وتزداد هذه الاتجاهات انتشاراً بين الشباب الذكور، وبخاصة الأكبر عمراً، وغير المتعلمين، أو يمارسون أعمالاً مهنية، أو عاطلين عن العمل .

سادساً - التواصل بين الأجيال وعلاقات الصداقة التي

يقيمها الشباب مع الجنس الآخر :

لا تختلف مواقف الآباء من العلاقات التي يقيمها الأبناء مع الجنس الآخر كثيراً عن مواقفهم نحو القضايا الأخرى، مع الإشارة إلى الميل العام لدى أرباب الأسر هو ضرورة الالتزام بالقيم الاجتماعية والتقاليد السائدة في الوسط الاجتماعي . وقليلة هي الحالات التي كانت تسوغ للأبناء إقامة هذه العلاقات دون مراقبة اجتماعية . وحتى في هذه الحالات التي تنطوي على قبول الأهل بالعلاقات التي يقيمها الشباب بالجنس الآخر إلا أنها ليست صريحة وواضحة بالشكل الذي يجعل الأبناء يتصرفون بحرية وراحة نفسية .

وغالباً ما تكون موافقة الأهل في الحالات القليلة، مضمرة وغير صريحة هي أكثر انتشاراً بين الشباب الذكور مما هي عليه بين الإناث .

أ- مواقف أرباب الأسر نحو علاقة الصداقة لأبنائهم بالجنس الآخر :

يلاحظ أن مواقف الآباء بصورة عامة كانت رفض إقامة أية علاقة للشباب مع الجنس الآخر دون معرفة الأهل، ومراقبتهم، وبرغم ذلك يمكن رصد ثلاثة مواقف أساسية متفاوتة الانتشار ومنها قائمة بشكل أو بآخر.

• ويمكن توصيف هذه المواقف على النحو الآتي :

-مجموعة الآباء الرافضة لأية علاقة يمكن أن تكون بين الشباب الذكور والشباب الإناث ويأتي هذا الرفض لاعتبارين أساسيين يرتبط أولهما بالدين والشريعة الإسلامية التي لا تجيز مثل هذه العلاقة إلا في حدود ضيقة جداً. وفي إطار العلاقات الاجتماعية الخاضعة للمراقبة من قبل الأهل وأرباب الأسر. ويتصل الاعتبار الثاني بالعادات والتقاليد الاجتماعية التي لا تجيز هذه العلاقات إلا في إطارها أيضاً. والذي يقترن غالباً بمعرفة الأهل وأولياء الأمور ، وتعد هذه المواقف هي الأكثر انتشاراً في المجتمع السوري بشكل عام وبخاصة في الأرياف والمناطق التي تزداد فيها مظاهر الارتباطات الاجتماعية العشائرية وفي تلك المناطق التي تزداد فيها أيضاً مظاهر التدين والالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية .

كما أن هذه المواقف بين أولياء الأمور المتقدمين في السن موازنة مع غيرهم، حيث تعد المرحلة التقليدية بمثابة المقياس الذي يعتمد عليه هؤلاء في تقييمهم للأنماط السلوكية بصورة عامة ولطبيعة العلاقة بين الشباب الذكور والفتيات الإناث بشكل خاص .

-مجموعة الآباء الأقل تشدداً. وتضم مجموعة الآباء الأقل سناً والذين مروا بتجارب خاصة مختلفة نسبياً عن تلك التي عرفها أولياء أمورهم في المرحلة التقليدية فهؤلاء يتراخون قليلاً ولكنهم لا يصرحون بذلك بشكل واضح. ولا يشجعون عليه بشكل مباشر، ولكنهم يعضون أبصارهم إذا ما عرفوا مواقف أبنائهم وإذا ما عرفوا أن لأبنائهم علاقات صداقة مع الجنس الآخر وبالمقدار الذي يلاحظ فيه أن هذه المواقف أكثر انتشاراً في المناطق الحضرية بالموازنة مع المناطق الريفية .

كذلك تعد أكثر انتشاراً بين أولياء الأمور الذين هم في الفئات العمرية المتوسطة (50-60) تقريباً. كما أنها أكثر انتشاراً بين فئات المتعلمين من هذه الشريحة مما هي عليه بين الأميين، كما أنها أكثر انتشاراً بالنسبة إلى الشباب الذكور مما عليه بين الفتيات الإناث فأولياء الأمور أقل تشدداً مع أبنائهم الذكور وأشد مع أبنائهم الإناث .

-مجموعة الآباء الأقل تشدداً. حيث يلاحظ أن الآباء يعضون النظر كثير في هذه الأمور، وينظرون إليه على أنه من الأمور الطبيعية تماماً وربما يشعرون بالارتياح عن العلاقات التي يقيمها أبنائهم مع الجنس الآخر لما يترتب على ذلك من تكامل في عملية النضوج النفسي والاجتماعي التي يمر بها الأبناء .

فهي بالإضافة إلى كونها حق من حقوقهم الطبيعية، فهي تساعدهم في تحقيق عملية النضوج النفسي والاجتماعي ويصعب أن تنمو شخصية الفرد دون هذه العلاقات .غير أن ذلك لا يعني خروج هذه العلاقات عما هو متعارف عليه في المجتمع من عادات وتقاليد وقيم وغيرها .

ويلاحظ أن هذه الشريحة أكثر انتشاراً في المناطق الحضرية ومراكز المدن، وهي أكثر انتشاراً بين الحاصلين على شهادات جامعية عالية (ماجستير، دكتوراه) ممن جاوزوا الخمسين من أعمارهم .أو ممن هم أقل من ذلك بقليل .

إن المواقف الاجتماعية للأولياء الأمور نحو العلاقات التي يقيمها الأبناء مع الجنس الآخر، إنما هي نتاج لجملة التجارب التي عاشها الآباء أنفسهم ولجملة العوامل الاجتماعية المؤثرة في علاقات الأبناء مع أولياء أمورهم من جهة .

ولعلاقات الأسر مع بعضها بعضاً من جهة أخرى، فارتفاع مستوى التعليم والتواصل الثقافي مع الآخر، والانفتاح الاجتماعي في مراكز المدن وغيرها يساعد كثيراً في توجيه مواقف الآباء .ويجعلهم أكثر تشدداً أو أقل تبعاً لمجموعة هذه الظروف والعوامل .

وبرغم ذلك فإن مجمل المواقف لا تجيز لأي من الشباب الذكور والإناث إقامة علاقات صداقة الآخر دون الإطار الاجتماعي ودون رعاية الأسرة ومعرّفها ومتابعتها

ب - اتجاهات الشباب نحو مواقف ذويهم من صداقاتهم مع الجنس الآخر :

يميل الشباب من الذكور والإناث بصورة عامة إلى عدم إخبار الأسرة بأية علاقات مع الجنس الآخر لفترة من الزمن تطول أو تقصر تبعاً لتطور هذه العلاقة ومساراتها وتبعاً للعادات والتقاليد السائدة وتبعاً لأسلوب التنشئة الاجتماعي المتبع من قبل الأبوين مع الأبناء . ففي البدايات وعندما يدرك الأبناء أن علاقاتهم مع الجنس الآخر غير مرغوب فيها في نطاق الأسرة قد يميلون إلى كتمان هذه العلاقة وعدم البوح بها وعدم التحدث بهذا الموضوع، ماعداً مع الأخوة أو الأخوات القريبين من السن نفسه حيث تتشابه المشاعر والأحاسيس والعواطف .

ويشارك الأخوة أو الأخوات مع بعضهم بقضايا مشتركة تجعل منهم أصدقاء أكثر مما هم إخوة أو أخوات بالمعنى الدقيق.

• ويمكن رصد اتجاهات الشباب نحو مواقف والديهم على

النحو الآتي :

- تأخذ مجموعة من الشباب بتأييد مواقف ذويهم من أية علاقة صداقة يمكن أن يبنوها الشاب مع الآخر، ذلك أن هذه العلاقة يمكن أن تترتب عليها جملة من النتائج غير السليمة بالنسب إلى الشاب أو بالنسبة إلى الفتاة . وفي هذه الحالة يجد الشاب نفسه مضطراً لشرح مشكلته لأبويه، فهو لا يستطيع أن يعالج ما يترتب على علاقات الصداقة الخطأ من آثار سلبية ربما تعود على الأسرة بمجملها.

ولهذا لا يجوز أن يقدم الشاب أو الفتاة على تطوير أية علاقة صداقة إلا من خلال الأسرة ومن خلال رعايتها ويلاحظ أن هذه الاتجاهات تزداد بشكل واضح في الأرياف وبين الشباب الأقل من مستوى تعليمهم وبين الشباب الأقل بفئات أعمارهم، وهي بين الإناث أكثر مما عليه بين الذكور .

-تميل مجموعة أخرى من الشباب إلى مواقف أكثر انفتاحاً ، وحرية ذلك أن مسألة صداقة الشاب مع الجنس الآخر هي من حقه الطبيعي . كما أن شروط الحياة الاجتماعية الحديثة أصبحت تقتضي مثل هذه العلاقات من الصداقة والشباب قادرين على مجابهة مشكلاتهم ولهذا لا يجوز للأسرة الاعتراض على هذه العلاقات بصورة كلية مع الإقرار بحق الأسرة في المراقبة والتوجيه والتدخل حين اللزوم.

ومع أن أصحاب هذا الاتجاه يميلون إلى هذا الرأي فإن يضعون للصداقة حدود أيضاً فيمكن أن تكون في مجال العمل أو الدراسة، ولكن بشكل واضح وبرعاية الأسرة دون تجاوز ذلك إلى حد تخرج فيه عن معرفة الأهل والأصدقاء الآخرين . ويظهر هذا التوجه في المناطق الحضرية بصورة عامة وبعض المناطق الريفية التي تجيز مفهوم الصداقة ضمن البيئة الواحدة أو القرية الواحدة دون أن تكون مقبولة مع الجنس الآخر في البيئات الخارجية كما يلاحظ أن هذا الاتجاه يعد الأكثر وضوحاً بين الأسر متوسطة الدخل، والأسر في المستويات التعليمية المتوسطة وأكثر .

-تجد مجموعة ثالثة من الشباب أن العلاقة مع الجنس الآخر على ما فيها من سلبيات وإيجابيات هي مسألة شخصية ولا يجوز أن يتدخل فيها الأهل لتوجيه مساراتها أو الحد منها وإذا كان من الجائز أن يتدخل الأهل في مثل هذه العلاقات ففي الحالات التي يصبح فيه الأبناء عاجزين عن معالجة مشكلاتهم وهي حالات قليلة بصورة عامة كأن تترتب على علاقات الصداقة نتائج سلبية يمكن أن تؤثر في مستقبل الشاب التعليمي أو المهني أو أن تتحول العلاقة إلى علاقات عشق وحب تفقدها مضمونها الاجتماعي أو غير ذلك من الحالات . أما

استمرار العلاقات بطابع الصداقة وعدم ظهور أية مشكلات اجتماعية أو نفسية بين الأصدقاء فيقضي بعدم تدخل الأهل لما يترتب على هذا التدخل من آثار سلبية في عملية النضوج النفسي والاجتماعي للشباب فضلاً عن أن ذلك لا يعد حقاً من حقوق الأسرة. ويلاحظ أن هذه الاتجاهات تزداد وضوحاً في المدن ومراكز المحافظات وبين الأسر ذات المستوى التعليمي المرتفع وبين الشباب المتقدمين في العمر، والشباب الأعلى في مستويات تعليمهم .

وتترتب على هذه الاتجاهات المتعددة للشباب نحو مواقف ذويهم من علاقات الصداقة التي يقيمونها مع الجنس الآخر أنماط سلوكية مختلفة. فقد يندفع بعضهم إلى إخفاء أية علاقة صداقة يقيمها مع الجنس الآخر عن ذويه وأسرته لما يحملونه من معان سلبية حول الموضوع. بينما يأخذ بعضهم بالتحدث عن هذا الموضوع مع أخوته الذين يشاركونه بعض الهموم وكذلك تفعل الفتاة عندما تتحدث بذلك إلى أخواتها الفتيات. وتلاحظ شريحة أخرى من الشباب تتحدث عن موضوع صداقاتها مع الجنس الآخر بشكل واضح وعلني، ولا تتردد في ذكر أية تفاصيل عن هذه العلاقة .

سابعاً - التواصل بين الأجيال وموضوع العلاقات العاطفية

بين الشباب

تنتشر في الأوساط الاجتماعية المختلفة ونتيجة لتزايد مظاهر الصداقة بين الذكور والإناث ونتيجة لعمليات التواصل المستمرة بين الجنسين في العمل، والتعليم والحي، ومختلف مجالات الحياة، مظاهر تبادل العواطف والمشاعر بين الجنسين، ويختلف الأمر عن مفهوم الصداقة الذي سبقت الإشارة إليه. فغاية العلاقات القائمة على أساس تبادل مشاعر الحب والعواطف والأحاسيس بين الجنسين تتطلع إلى تحقيق عملية الزواج وتكوين الأسرة، وهي العملية التي تأخذ أشكالاً جديدة في المجتمع الحديث .

ويلاحظ أن ثورة اجتماعية كبيرة قد حدثت خلال الفترة السابقة، حيث أصبحت أشكال الزواج التقليدية ضعيفة الانتشار إذا ما قورنت بالأشكال الحديثة، ففي حين كانت مسألة زواج الشاب أو الفتاة مشروعاً مرتبطاً بالأسرة كليا أصبحت هذه المسألة مشروعاً فردياً بدرجة كبيرة فلم تعد مسؤوليات الأسرة كما كانت في الماضي ولم تعد واجبات الشاب "الزوج" كما كانت في السابق .

أ- مواقف الأبوين من العلاقات العاطفية للأبناء:

لم تختلف مواقف الآباء من أبنائهم بخصوص العلاقات العاطفية التي يقيمونها مع الجنس الآخر عن مواقفهم بخصوص علاقات الصداقة، ولكنها توصف بأنها أكثر تشدداً وبخاصة بالنسبة إلى الإناث، فقد ظهرت ثلاثة تيارات أساسية في مواقف الآباء منها ما هو متشدد نحو العلاقات العاطفية التي يمكن أن يقيمها الشباب مع أقرانهم من الجنس الآخر . وهو التيار الأكثر انتشاراً في معظم المناطق تقريباً ومنها ما هو مترخي نسبياً، ومنها ما هو متساهل جداً . ويعد كل من التيارين الأخيرين ضعيف الانتشار بالموازنة مع الأول وغالباً ما يظهران في مراكز المحافظات والمدن الكبرى، ومع المستويات التعليمية المرتفعة بالنسبة إلى الأبوين، ومع الفئات العمرية المنخفضة نسبياً بالنسبة للأبوين أيضاً .

الجموعة الأولى:

وهي الأكثر انتشاراً وهي المتشددة في إقامة الشباب لأية علاقات عاطفية مع الجنس الآخر. ذلك أن هذه العلاقة غير مقبولة من النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية، ولهذا تعد هذه العلاقات من النوع المحرم اجتماعياً . ويمكن للأسرة أن تحاسب أبناءها إن أقدموا على مثل هذه التصرفات وتزداد الشدة بشكل واضح بالنسبة إلى الفتيات الإناث نظراً لما يمكن أن ينتج عن مثل هذه العلاقات من أضرار نفسية واجتماعية غير متوقعة بالنسبة إلى الشباب بشكل عام، وبالنسبة إلى الإناث بشكل خاص . وينتشر هذا التيار في معظم المناطق والنواحي والقرى بالإضافة إلى المدن ومراكز المحافظات .

المجموعة الثانية: وهي أقل شدة، وبخاصة بالنسبة إلى الذكور ، ولكنها ليست متراخية إلى الحد الذي يجعلها تغض النظر إذا ما شعرت بأن مخاطر يمكن أن تحدث مستقبلاً مع انتشار مظاهر التنبيه والتحذير من مخاطر العلاقات العاطفية دون مراقبة الأسرة ومعرفتها . ويلاحظ أن هذا التيار أقل انتشار من سابقه وغالباً ما يلاحظ في مراكز المحافظات والمدن الكبرى، والمناطق الحضرية بشكل عام .

المجموعة الثالثة: وهي مجموعة الآباء المتساهلين بشكل واضح حيث يستطيع الشباب التحدث إلى ذويهم، وبخاصة أخوتهم وأخوالهم، وأمهاتهم عن مشاعرهم وأحاسيسهم نحو الصديقات المرشحات للزواج، في الوقت الذي يمكن لهؤلاء الاستماع إلى ملاحظات الأهل وإرشاداتهم بغية تجنب الوقوع في مشكلات يمكن أن تؤثر في شخصية الأبناء . وفي مستقبلهم المهني والعلمي . ويلاحظ أن انتشار هذه المجموعة ضيف، وغالباً ما ينتشر في مراكز المحافظات والمناطق الحضرية، ومع ارتفاع مستوى تعليم الأبوين، وتعليم الأخوة وانخفاض أعمارهم وغير ذلك من الاعتبارات الخاصة التي لا تنتشر بقوة في معظم المناطق .

ب - اتجاهات الأبناء نحو مواقف ذويهم من علاقاتهم العاطفية مع الجنس الآخر :

من الطبيعي أن تأتي اتجاهات الأبناء نحو مواقف ذويهم من علاقاتهم العاطفية مع الجنس الآخر متباينة تماماً كما هو الحال في مواقف الآباء أنفسهم . وتعد اتجاهات أكثر تنوعاً، على خلاف مواقف الآباء التي كانت توصف بصورة عامة أنها في عداد المواقف التي تؤمن بضرورة عدم تورط الأبناء بأي شكل من أشكال العلاقات العاطفية دون رعاية الأسرة لما قد يترتب على هذه العلاقات من نتائج تمس الشباب أنفسهم بالدرجة الأولى وتمس أسرهم بالدرجة الثانية . وبرغم ذلك تلاحظ أيضاً مواقف أكثر اعتدالاً تسوغ للأبناء الشباب تنمية علاقات عاطفية مع الجنس الآخر دون أن تكون مشجعة عليها بل يمكن أن تتخذ مواقف سلبية إذا دعت الضرورة لذلك ومواقف متطرفة نسبياً .

حيث تجد أن مثل هذه العلاقات حق طبيعي للشباب ولا يجوز للأسر التدخل فيه إلا بالشكل الذي يعزز هذه العلاقات ويهذبها ، ويجردها من الجوانب السلبية التي يمكن أن ترافقها في كثير من الأحيان .

أما اتجاهات الشباب فيه أكثر تنوعاً حيث تلاحظ أيضاً مجموعات من الشباب تميل إلى تأييد الأهل في ضرورة تدخل الأبوين في أية علاقات عاطفية يقيمها الشباب مع الجنس الآخر وضرورة تقييد هذه العلاقات والحد من انتشارها لما فيها من خروج عن أحكام الشريعة الإسلامية من جهة .

ولما قد يترتب عليها من مشكلات اجتماعية ونفسية من جهة أخرى بالإضافة إلى مجموعات من الشباب تجد أن هذه العلاقات تعد واحدة من الحقوق التي تتمتع بها شريحة الشباب ولا يجوز أن تتدخل الأسرة بشأنها إلا بالشكل الذي يعززها ويساعد في تنميتها . فلكل جيل ظروفه ومشكلات حياته التي لا يجوز أن يتدخل فيها الجيل الآخر ، وبين هذين الاتجاهين يلاحظ أيضاً اتجاه ثالث يحاول التوفيق بين الاتجاهين المتطرفين، فلا هو من أنصار حرية الشباب إلى المستوى الذي يمكنهم من إقامة أي شكل من أشكال العلاقات العاطفية دون رعاية الأسرة . ولا هم من الذين يدعون على ضرورة تقييد حرية الشباب ومنعهم من حقوق طبيعية مستقرة في شخصيتهم كما فطرها الله عز وجل في شخصياتهم .

●-الاتجاه المؤيد لمواقف الأبوين:

تجد هذه الشريحة من الشباب أن مسألة العلاقات العاطفية بين الشباب مع الجنس الآخر هي من النوع الذي لا يستقيم وطبيعة الثقافة العربية الإسلامية ولهذا فهم يؤيدون الأهل في مواقفهم المتشددة إزاء العلاقات العاطفية التي يقيمها الشباب مع الجنس الآخر، ويعد هذا الرأي الأكثر انتشاراً في المناطق الريفية بصورة عامة وفي المحافظات الشرقية بشكل خاص كما أن هذا الاتجاه واسع الانتشار حتى في مراكز المحافظات والمناطق الحضرية ولكنه أوسع انتشاراً بين الشباب في الفئات العمرية الأقل، وفي المستويات التعليمية الأضعف وبين الإناث أكثر مما هو عليه بين الإناث .

ولا يجد الشباب في إطار هذه الشريحة ما يسوغ للشباب عدم إبلاغ ذويهم بأية مشاعر عاطفية نحو الجنس الآخر .

وتزداد هذه الاتجاه وضوحاً بين الإناث اللواتي يطالبن زميلاتهن بإبلاغ أمهاتهن بمثل هذه المشاعر والأحاسيس وبأية علاقة تربطهم مع الشباب الذكور ويزداد انتشار أصحاب هذا التوجه في المناطق الريفية وبشكل عام وفي قرى المنطقة الشرقية بشكل خاص .

كما أنه بين الشباب الأقل سناً أكثر مما هو عليه بين الشباب في المراحل العمرية الأعلى وهم بين الأقل تعليماً أكثر ما هو بين الأكثر تعليماً وبيننا الإناث أكثر مما هي عليه بين الذكور .

●-الاتجاه المعتدل:

ويميل أصحابه إلى القول بأن العلاقات العاطفية مع الجنس الآخر من حقهم وليس للأسرة أو الأبوين الاعتراض على هذه الحقوق فقد سبقت لهم تجارب خاصة بهم وعاشوا فيها بمشاعرهم وأحاسيسهم ، وليس من حقهم أن يجعلوا حياة أبنائهم خاضعة للنماذج التي يرونها مناسبة لتصوراتهم .

وعلى الرغم من ذلك يرى مؤيدو هذا الاتجاه أن على الشباب أيضاً مراعاة مواقف الأهل واستشارتهم في الكثير من أمور حياتهم فهم لم يأتوا من فراغ، لما لهم من خبرات ومعارف اجتماعية تجعلهم أقدر على التمييز بين الصالح والطالح من أبنائهم .ولا يجوز للشباب الخروج عن طاعة والديهم عندما تصل مسائل الخلاف مرحلة التناقض، ذلك أن الأبوين، وبصف عن مواقفهم من أبنائهم .يحملون جملة واسعة من المشاعر والأحاسيس الصادقة نحو أبنائهم .

ويجد هؤلاء أنهم غير قادرين على مخالفة والديهم في قضايا تخص علاقاتهم مع الجنس الآخر ويتطلع هؤلاء الشباب إلى تعزيز مبدأ الحوار مع والديهم لمعالجة المشكلات التي يمكن أن تترتب على اختلاف مواقفهم وهم على الأغلب يقيمون علاقات عاطفية مع الجنس الآخر ولكنهم على يقين أن استمرار هذه العلاقة يتطلب مصارحة الأبوين والتنسيق معهم بغية تجنب المشكلات

التي يمكن أن تنشأ عن العلاقات ولهذا يأخذ الشباب بأخبار ذويهم بما هم عليه فبعضهم يخبر والده أو والدته وبعضهم يخبر أخته الأكبر سناً .

أما الإناث فهم أميل لإعلام الأمهات والأخوات وبصورة عامة يلاحظ الميل للتحديث مع الأنثى (أم أو أخت) أكثر من التحديث من الأب أو الأخ الأكبر . ويعود ذلك على الأغلب إلى ما تتمتع به الأم من مكانة اجتماعية في الثقافة العربية تجعلها شديدة الاتصال بأبنائها . ويلاحظ أن هذه الشريحة تزداد انتشاراً في بين الشباب في الفئات التعليمية المرتفعة نسبياً وفي المناطق الريفية بالموازنة مع المناطق الحضرية وبين الشباب أكثر مما هي عليه بين الإناث .

●-الاتجاه المتطرف :ويجد أصحابه أن مسألة العلاقات العاطفية هي

مسألة شخصية تخصهم بالذات وليس للأبوين أن يتدخلوا في هذه المسألة وليس لهم أيضاً أن يجبروا أبنائهم على طبعهم . ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنهم يقيمون علاقاتهم العاطفية مع الجنس الآخر دون الاهتمام بموافقة ذويهم على ذلك . بل أن هذه العلاقات غالباً ما تتم في غياب معرفة الأهل ، وإذا حدث أن عرف الأهل بذلك ، فهم ليسوا على استعداد لمسايرة والديهم إذا تتطلب الأمر التخلي عن هذه العلاقات العاطفية وأنهم على استعداد لإثارة أية مشكلة مع ذويهم أن لزم الأمر ، فالعلاقات العاطفية التي يقيمونها مع الجنس الآخر من حقهم الشخصي . وليس للأبوين التدخل فيها بوجه من الوجوه ، ويلاحظ أن هذه الشريحة تزداد انتشاراً بين أبناء المدن بصورة عامة . وبين الذكور أكثر مما هي عليه بين الإناث . وبين الأكثر تعليماً مما عليه بين الأقل في المستوى التعليمي .

-ثامناً - التواصل بين الأجيال والعلاقات الاجتماعية مع

الأقارب :

تفيد الملاحظات المستخلصة من المقابلات العديدة مع فئات الشباب أن عملية التواصل مع الأقارب تعد واحدة من المشكلات الاجتماعية التي يعاني

منها الشباب بصورة عامة .في الوقت الذي تعود بأسبابها إلى الأبوين أنفسهم وإلى الأقارب المعنيين بالموضوع في الآن ذاته .

فالشباب لا يستطيعون تعزيز عمليات التواصل مع الأقارب بمعزل عن الأسرة لسببين أساسيين هما :انتشار مجموعة من المشكلات الاجتماعية بين الأسرة من جهة والأقارب من جهة أخرى .الأمر الذي أدى خلال فترات سابقة إلى أشكال من القطيعة الاجتماعية إما بسبب الهجرة وانتقال مكان الإقامة من محافظة إلى أخرى، مع ما يترتب على هذا الانتقال من انقطاع عملية التواصل أو بسبب كثرة المشاغل حيث باتت كل أسرة منشغلة بقضاياها ومشكلاتها الاجتماعية .مما جعل عملية التواصل مع الأسر الأخرى على درجة كبيرة من الصعوبة .وقد تكون عمليات الانقطاع نتاجاً لمشكلات القرابة المتعلقة بالتنافس أو الصراع حول بعض المنافع وغيرها. .وفي الحالات المختلفة ينشأ الشباب ولا يعرف إلا القليل عن بعض الأقارب .ولهذا ليس من اليسير عليه اختراق الواقع لإعادة تكوين علاقات اجتماعية جديدة مما يجعل الشباب بصورة عامة يحملون ذويهم مسؤولية الانقطاع الاجتماعي .وعدم التواصل مع الأقارب .مع أنهم يرغبون في مثل ذلك .ويزداد انتشار هذه الآراء بين الشباب في الأسر المقيمة بالمناطق الحضرية وهي من أصول ريفية .وهي بين الإناث أكثر مما هي بين الذكور .وبين الشباب الأقل تعليماً مما عليه بين الشباب في الفئات التعليمية الأعلى، وهي بين صغار السن أكثر مما عليه بين الشباب في الفئات العمرية الأعلى نسبياً .

تسود الشباب بصورة عامة مشكلات نفسية واجتماعية متنوعة منها مشكلات العمل والبطالة والتعليم والسكن وغيرها مما يجعل الأسر بصورة عامة منشغلة بقضاياها ومشكلاتها، وبخاصة مع انتشار مظاهر الأسرة النواة التي لم تعد تعير اهتمامها ومشكلات الأسرة الأكبر .

ولهذا تصبح عملية التواصل مع الأقارب عسيرة وبخاصة أنه تترتب عليها التزامات تقيد الأسرة المحدودة في كثير من الأحيان، فعملية التواصل الاجتماعي مع الأقارب كالعم والخال وغيرهم تدفعهم إلى المشاركة في الحديث

عن قضايا الأسرة ومشكلاتها. وغالباً ما يترتب على هذا التدخل ميل إلى إسداء النصائح. والآراء والتوجيه مما يدفع شريحة الشباب إلى النفور من أية علاقات اجتماعية مع الأقارب يمكن أن تترتب عليها التزامات تجر مشكلات جديدة إلى مشكلات الشباب. وهم ليسوا بحاجة إليها. ويلاحظ أن الشباب الذكور بصورة عامة هم أميل إلى النفور من الأقارب. بينما توصف الإناث بأنها تميل إلى تعزيز عملية التواصل كما أنه الشريحة تنتشر بدرجة أكبر في المناطق الحضرية بالموازنة مع ما هي عليه في المناطق الريفية، وبين الشباب الأكبر سناً بالموازنة مع الشباب الأقل في السن. وبين المتعلمين أكثر مما عليه بين الأقل تعليماً.

تاسعاً - التواصل بين الأجيال والتثقيف الجنسي

ومصادره :

تعد مسائل التثقيف الجنسي واحدة من المشكلات الأساسية التي يعاني منها الشباب وبخاصة أن مصادر معرفتهم بهذا الجانب مازالت مشوهة. وغير واضحة فالمؤسسات التعليمية غير قادرة على تلبي حاجة الشباب. والإجابة على تساؤلاتهم. كما أن نظام الأسرة غير قادر بدوره على توفير المعلومات التي يحتاج إليها الشباب. ويعود ذلك على الأغلب إلى أن الثقافة التقليدية كانت تعمل على تمكين الشباب من الثقافة الجنسية من خلال التعليم الديني . ومن خلال توضيح الطرق التي يتعامل من خلالها الشاب مع التغيرات التي تطرأ على نموه العضوي والجسدي فتشرح عملية التعليم الديني آنذاك ما هو الحلال والحرام في هذه الطرق. وموقف الشريعة إزاء كل واحدة منها . واختلف الأمر مع انتشار مظاهر الضعف في التعليم الديني، وعدم قدرة مناهج التدريس في المؤسسات التعليمية على الإجابة عن التساؤلات التي يحتاج إليها الشباب. ومع غياب الوعي الاجتماعي بين الأبوين. حيث يجد بعض أرباب الأسر أن الحديث في مثل هذه المواضيع يحمل في ثناياه قدراً كبيراً من الخروج عن أحكام الشريعة .

وهو أمر يصبح محرم وفيه كفر ولذلك يمتنعوا عن الخوض في مثل هذه الأحاديث مما يجعل الأبناء يبحثون عن ضالتهم المنشودة في طرق أخرى ووسائل متنوعة. فتظهر مشكلة الثقافة الجنسية بين الشباب بقوة حيث الشاب في سن متقدمة نسبياً وهو يجهل الكثير من المواضيع التي ينبغي أن يكون قد تعلمها. ولهذا يندفع بعضهم إلى اكتساب هذه المعارف عن طريق الأقران والأصدقاء تارة أو بطريق البحث عن المعلومات المطلوبة في الأنترنت والسواقات الليزرية في الشوارع. وهي في مجملها طرق خاطئة تحمل في ثناياها قدراً كبيراً من المخاطر تزيد في حجمها عن الفوائد المتوقعة، ويزداد اللجوء إلى هذه الطرق بين الذكور بدرجة تزيد كثيراً عما هي عليه بين الإناث. وفي المدن أكثر من الأرياف وبيّن المستويات الأقل في مستوى تعليمهم بالموازنة مع من هم بمستويات تعليمية أفضل .

والى جانب ذلك يلاحظ أيضاً أن مجموعة من الشباب تقيم علاقات إيجابية مع الأبوين مما يمكنهم من اكتساب المعارف الصحيحة في الوقت المناسب. ولا يجدون هناك أية مشكلات كبيرة في هذا الخصوص .

ويزداد انتشار هذه الشريحة بين الشباب الأكثر تعليماً في المدن ومراكز المحافظات، وهي بين الإناث في علاقاتهن مع أمهاتهن أكثر مما هي عليه بين الذكور في علاقاتهم مع آبائهم.

عاشراً - التواصل بين الأجيال والتعامل مع المنظمات

والنوادي الاجتماعية

تعد النوادي والمنظمات الشعبية قنوات اجتماعية لتنمية المواهب والمهارات وتعزيز أوجه الارتباط الاجتماعي بين الأفراد وتعد أشكالاً جديدة من أشكال الروابط الاجتماعية التي ظهرت حديثاً مع انتشار مظاهر التطور الاجتماعي والثقافي، وهي تقترب بانتشار أنماط سلوكية لا تتوافق بالضرورة مع ما هو سائد من عادات وتقاليده. كالعلاقات بين الذكور والإناث. وشغل أوقات الفراغ .

بالإضافة إلى أن بعض الأسر ينظرون إلى هذه النوادي والمنظمات على أنها تحمل قيم وأفكار لا توافق العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية السائدة . ولهذا تأخذ الأسر منها مواقف متباينة، منها ما هو مؤيد ومنها ما هو معارض، ومنها ما هو محايد، حيث يعد الأمر بالنسبة إليه من حق الشباب أنفسهم . أما اتجاهات الشباب نحو مواقف ذويهم فتأتي متباينة أيضاً . إذ يؤكد بعضهم على ضرورة مشاركتهم في نشاطات النوادي والمنظمات لما فيها من فوائد تعود عليهم بالخبرة والمهارات التي لا يمكن اكتسابها عبر المؤسسات التقليدية الأخرى كما أن هذا يعد حقاً من حقوق الشباب ولا يجوز للأهل التدخل بأمره . فقد استطاعوا من خلال هذه النوادي والمؤسسات تكويني صداقات اجتماعية وأقران أصبحت بالنسبة إليهم المرجع الذي يعودون إليه لمعالجة مشكلاتهم وقضاياهم الاجتماعية، وليس من اليسير أن يتخلوا عن هذه الهيئات لمجرد رغبة آبائهم بذلك . وإلى جانب ذلك تؤكد جماعة أخرى من الشباب أن هذه الهيئات والمنظمات الشعبية.

لا تحمل في حقيقة الأمر أي شيء جديد وهي تعمل وفق أطر قديمة أيضاً . ولهذا فإن عدداً من الشباب يأخذون بالانتساب إلى النوادي والمنظمات لما في ذلك من منافع مادية تعود عليهم . أما على مستوى المهارات والكفاءات التي يمكن اكتسابها فهي قليلة جداً . وأن مواقف الآباء السلبية من هذه المنظمات هي مواقف صحيحة وهم يتوافقون معها .

أحدى عشر: شغل أوقات الفراغ:

يولي الشباب بصورة عامة اهتماماً كبيراً بشغل أوقات الفراغ . وهي تعكس مستوى الوعي الاجتماعي والثقافي الذي يتمتع به الشباب ذلك أن شغل أوقات الفراغ يجسد جملة الاتجاهات الاجتماعية والدينية والقيم الأخلاقية التي يتصف بها الشباب وبالنظر إلى أن طرق شغل أوقات الفراغ أخذت أشكالاً جديدة بالموازنة مع المراحل التقليدية فمن الطبيعي أن تظهر مواقف متباينة للأهل نحو شغل أوت الفراغ أوت الفراغ لأبنائهم .

كما أن مواقف الآباء واتجاهاتهم نحوها ترتبط بتصورات بمستقبل الأبناء وآمالهم المعقودة على ذلك. فأولياء الأمور الذين يتطلعون إلى أن يحقق الأبناء نجاحاً مميزة في مستويات التحصيل يجدون في كل ما يشغل الأبناء عن هذا الهدف ضياعاً للوقت. وبالتالي فلا يجوز للأبناء أن ينشغلوا إلا بما يعود عليهم بالفائدة المعرفية والعلمية التي تمكنهم فيما بعد من تحقيق مستوى تعليمي أفضل .

ويلاحظ أن مواقف الآباء توزعت في ثلاث اتجاهات أساسية .حيث لوحظ أن بعضهم يميل إلى تشيد الأبناء ومحاسبتهم على أي شكل من أشكال شغل أوقات الفراغ لا يرتبط بالدراسة وتحضير الدروس .مع أن الأبناء يميلون إلى ممارسة مجموعة من الهوايات كالرسم والموسيقى، وزيارة الأماكن الأثرية، وغيرها، كما لوحظ أن بعضهم الآخر يميل إلى ترك الأبناء وشأنهم في هذا المجال، إذ يجدون في ذلك مسألة شخصية لا يجوز التدخل فيها .

بالإضافة إلى أن انشغالهم بأعمالهم يجعلهم غير قادرين على التفكير بما يفعله الأبناء من ممارسات صحيحة أو خاطئة .فموقفهم أشبه ما يكون بموقف اللامبالاة .

أما الاتجاه الثالث فيلاحظ أن يأخذ موقفاً مختلفاً إذ يجد أن تشجيع الأبناء على تنمية مواهبهم وميولهم الفنية والثقافية جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية نفسها، وبالتالي فإن توجيه الأبناء ورعايتهم وتنظيم شغل أوقات الفراغ بالشكل الذي يضمن تنمية مواهب الأبناء ومتابعتهم لمنهاج التعليم المعتمد في وقت واحد يساعد كثيراً في تحقيق الغرضين بآن واحد فتأخذ هذه المجموعة بتشجيع الأبناء على تعلم الموسيقى والرسم وغيرها من النشاطات التي تنمي الشخصية، وتوسع الإمكانيات .

ويلاحظ أن مواقف الآباء ارتبطت بشكل واضح أكثر ما ارتبطت بمستوى التحصيل الدراسي للوالدين فارتفاع مستوى تعليم الوالدين اقترن بشكل واضح مع ميلهم نحو تشجيع الأبناء على ممارسة الهوايات والمواهب .بينما لوحظ أن

الآباء في المستويات التعليمية الأقل كانت تنظر إلى تنمية المواهب على أنه شكل من أشكال ضياع الوقت وعامل من عوامل انخفاض التحصيل الدراسي. كما ارتبط الأمر قليلاً باختلاف الجنس بين الشباب وبخاصة مع غياب الرغبة في استمرار تعليم الأبناء حيث تشجع الفتاة على ممارسة الهوايات ذات العلاقة بالأنوثة كتعلم الخياطة، وأعمال الطهي في المنزل، وما من شأنه أن يعزز درها بصفاتها ربة أسرة في المستقبل بالإضافة إلى ضرورة شغل أوقات فراغها بالثقيف الديني .

ويشجع الفتى على الثقافة الدينية بشكل رئيسي والزيارات الاجتماعية وكل ما من شأنه أن يعزز دوره بوصف رب أسرة في المستقبل. أما اختلاف المناطق بين ريفية وحضرية فيبدو أنه لم يؤثر بشكل واضح في مواقف الآباء نحو طرق شغل أوقات الفراغ لدى الأبناء وكذلك الحال جنس الأبوين وإلى جانب ذلك يلاحظ أيضاً أن اتجاهات الشباب نحو مواقف ذويهم جاءت متنوعة أيضاً. فمنهم من وجد أن للأهل تجربة سابقة يجب احترامها، وأن مواقفهم من أبنائهم لا ليست مبنية على مواقف عدائية لنفي المصالح المتناقضة، ولهذا يجب على الأبناء احترام رأي آبائهم وأخذها بعين الاعتبار في طبيعة العلاقة التي يشيدونها معهم بما في ذلك طريقة شغل أوقات الفراغ ويلاحظ أن هذه الاتجاهات ازدادت بشكل واضح في المناطق الريفية، وبين فئات الأعمار الأقل، وبين المستويات التعليمية الأقل .

ومن الشباب أيضاً من وجد أن شغل أوقات الفراغ حق من حقوق الشباب ولا يجوز للأهل التدخل بها، ذلك أن الآباء لهم أيضاً أوقات الفراغ ويشغلونها بالطرق التي يرونها مناسبة بصرف النظر عما يترتب على ذلك من نتائج تمس الأسرة . كما أن أوقات الفراغ هي بالأساس أوقات غير منتجة، ولا يجوز التفكير باستثمارها على نحو يفقدها طابعها الخاص، ويلاحظ أن هذا الاتجاه أكثر انتشاراً بين الشباب المتقدمين بأعمارهم من الوصول إلى مستويات تعليمية مرتفعة، وغالباً ما يكونوا من العاطلين عن العمل .

ويلاحظ أيضاً أن شريحة أخرى تحاول التوفيق بين الاتجاهين السابقين، فلا هي متشددة نحو الرأي الأول ولا هي متشددة نحو الرأي الثاني، وتميل إلى التأكيد على ضرورة الحوار والمناقشة مع أولياء الأمور بغية الوصول إلى حلول وسط توفق بين تطلعات الأهل ورغبات الأبناء .

ثاني عشر - التفسير الاجتماعي لأشكال عملية التواصل

بين الأجيال في الوقت الراهن :

على الرغم من تنوع التفسيرات المعطاة لمواقف الآباء كما يرى ذلك الشباب فإن تحليل هذه المواقف بالنسبة إلى الباحث والدارس في علم الاجتماع أمر مختلف فالظروف التي تعيشها الأسرة العربية في الوقت الراهن .

وبخاصة في سياق التحولات الاقتصادية والاجتماعية المتنوعة التي يشهدها المجتمع العربي تنتج بيئة اجتماعية خاصة توصف بانحلال منظومة القيم الاجتماعية الضابطة للسلوك الاجتماعي، حتى أصبحت معايير التمييز بين أنماط السلوك غير واضحة تماماً، فما هو مقبول اجتماعياً في وسط يعد مرفوضاً في وسط آخر.

وما تشجع عليه ثقافة محلية تنظر إليه ثقافة أخرى على أنه من باب الخروج عن المألوف، فالشباب يتعرضون اليوم لتحديات ثقافية كبيرة يمكن أن تمس هويتهم القومية في شخصياتهم وفي وعيهم .

ويمكن أن تؤثر في إدراكهم لثقافتهم وحضارتهم التي تمتد في تاريخها إلى ما يزيد على الأربعة آلاف عام .

إن حجم التيارات الثقافية المؤثرة في شخصية الشباب اليوم تفوق كثيراً قدراتهم على مقاومتها، فمع انحلال الضوابط الدينية والاجتماعية (العشائرية وروابط القرابة)، ومع ضعف الضوابط القانونية، وإمكانية تجاوزها في كثير من الحالات، بالإضافة إلى انحلال القيم الأخلاقية .

من الطبيعي أن تظهر بقوة القيم المادية التي تجعل العلاقات الاجتماعية مبنية على أساس المصالح المادية .

وعلى أساس تبادل المنافع الضيقة، ليس بفعل قوتها من حيث تأصلها في المجتمع العربي والثقافة العربية الإسلامية إنما بفعل ضعف الضوابط الأخرى من ضوابط دينية، واجتماعية ووطنية وقانونية.

وتعد فئة الشباب من أكثر الفئات التي تعرضت للتأثر بالتغيرات الثقافية التي طرأت على المجتمع العربي عامة وفي سورية بشكل خاص ذلك أن الشباب بخاصة بفئات الأعمار (15-24) هم في مرحلة التكوين والتشكل النفسي والاجتماعي والثقافي والحضاري . فإذا ما تعرضوا لتيارات ثقافية قوية انجرفوا معها واكتسبوا معالمها وخصائصها حتى تصبح جزءاً من شخصياتهم وجزئاً لا يتجزأ من هويتهم، وسرعان ما يصبح الواحد منهم من أكثر الداعين إليها .

والمتحمسين لها أما بالنسبة للأفراد المتقدمين في العمر الذين تجاوزوا مرحلة الشباب فقد تكونت شخصياتهم على الأغلب وتكونت اتجاهاتهم الثقافية والحضارية .

واكتسبوا من المهارات والكفاءات التي تجعلهم أكثر قدرة على مقاومة التيارات التي يمكن أن تجرف الضعيف منهم وتستقطبه في دائرتها الخاصة . ولهذا تصبح الخطورة بالنسبة إلى الشباب أكبر مما هي عليه بالنسبة إلى الشرائح الاجتماعية الأخرى، ذلك أن وحدة المجتمع وتماسكه وقوته إنما هي في قوة الضوابط التي يمثلها الأفراد في وعيهم ومشاعرهم وأحاسيسهم كما أن هوية المجتمع مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمقدار تمثلهم للقيم الأخلاقية والثقافية والحضارية وللمشاعر الوطنية والقومية التي استقر عليها المجتمع منذ آلاف السنين .

وتظهر ملامح التأثير في شخصية الشباب عندما تصبح الفروق غير واضحة بين الاستفادة من الثقافات الأخرى في سياق توظيفها لما يعود بالفائدة لبناء المجتمع وتطويره وتنميته . وبين الانجراف مع التيارات الوافدة وتمثل أفكارها

حتى تصبح جزءاً أساسياً من مكونات الشخصية ومعياراً من معايير الحكم على صلاحية الأنماط السلوكية وبطلائها فالتفاعل الثقافي ضرورة أساسية من ضرورات التطوير. وضرورة أساسية أيضاً من ضرورات تحسين الكفاءات والمهارات المحلية غير أن ذلك لا ينفي ضرورة التمييز بين الذات والآخر، وضرورة التمييز بين الخصائص الثقافية والحضرية للمجتمع، وبين الخصائص الثقافية والحضرية لما هو وافد .

وفي ضوء هذه التصورات يمكن تفسير التنوع الملحوظة في مواقف الآباء من قضايا أبنائهم حيث لاحظ أن الآباء الأكبر سناً ما زالوا متشددتين نسبياً في مواقفهم ويميلون إلى مطالبة أبنائهم بتمثل الثقافة التقليدية لما فيها من وحدة وقوة لأبناء المجتمع ونبذ ما هو مستحدث ووافد لما يترتب عليه من انجراف يهدد الشباب بالخطر، ويهدد مجتمعه بخطر أكبر .

أما الآباء الأقل سناً فغالباً ما يكونوا قد تأثروا نسبياً بما هو وافد وأخذوا يتفاعلون معه للاستفادة منه وتوظيفه بحسب الفوائد المتوقعة منه وغالباً ما يكونوا على حذر من التفاعل مع المستجدات لما يمكن أن تحمله من مخاطر غير منظورة في الوقت الراهن .

أما بالنسبة إلى الشاب فإن الأمر مختلف نسبياً فمرحلة تكوينهم النفسي والاجتماعي والثقافي والحضاري مقرونة بانتشار تيارات قوية عبر وسائل الاتصال الحديثة .

ومن خلال محطات البث الفضائية والأنترنت وغيرها ولهذا فهم يمتلكون قدراً كبيراً من المهارات والمعارف التي تفوق ما امتلكه ذويهم عندما كانوا في عمرهم .

وفي الوقت الذي يمكن فيه القول إن شريحة كبيرة من الشباب تأثرت بهذه التيارات وانجرفت معها مازالت هناك شريحة كبيرة أيضاً ملك القدرة على التمييز بين الذات والآخر، وتملك القدرة على التمييز بين خصائص الثقافة المحلية والثقافات الوافدة .

وفي ضوء ذلك تأخذ مواقفها مما يحيط بها من مواقف وقضايا فتؤيد وترفض تبعاً لمستوى فهمها لهذه المواقف والقضايا .

وفي الوقت الذي تبدو فيه ملامح التباين والصراع بين الأجيال واضحة تبدو فيه أيضاً ملامح التوافق والحوار والتواصل .

وبرغم ذلك يمكن القول إن عوامل التوافق والتواصل أكبر من عوامل الصراع والتناقض ذلك أن عوامل الخلاف بين الشباب وذويهم لا تشكل عوامل للصراع بالمعنى الاجتماعي المتداول في الدراسات الاجتماعية، فمواضيع التواصل أو الصراع المتمثلة في التعليم والعمل واختيار جماعات الرفاق .

وغير ذلك من الموضوعات لا تنطوي إلى مصالح متناقضة تجعل المواقف متطرفة إنما تأتي من الفهم المتباين لهذه المصالح . وغالباً ما تكون مصلحة الشاب هي الهدف من كلا الموقفين فإصرار الأب على تعليم ابنه الشاب اختصاصاً ما من الاختصاصات الجامعية لا يحمل في ذاته إصراراً على مصلحة ذاتية . بقدر ما ينور على فهم خاص لمصلحة الشاب نفسه . ويلاحظ أن قضايا الشباب تعد الشغل الشاغل بالنسبة إلى أولياء الأمور حتى مع تقدمهم في العمر فغاية الصراع إذن ليست مصالح متناقضة .

إنما فهم مختلف المصالح واحدة، الأمر الذي ينفي عن عملية التواصل صفة الصراع بين الأجيال كما هو شائع في الدول الأكثر تقدماً في المجال الصناعي والاقتصادي .

كما أن حيزاً كبيراً من المشكلات المنتشرة في المجتمع العربي إنما تأتي من شدة التماسك الاجتماعي بالموازنة مع ما هو عليه الأمر في الدول المتقدمة اقتصادياً فالأسرة مازالت شديدة التماس على الرغم من مظاهر التفكك المنتشرة حديثاً.

والآباء مازالوا يجدون أنفسهم معنيون بل ما يخص أبنائهم ولا يجيزون لأنفسهم التخلي عن مسؤولياتهم الدينية والاجتماعية في الوقت الذي يتطلع فيه الأبناء إلى الاستقلالية، يدرك كل واحد منهم أنه بحاجة إلى ذويه لتأمين

لوازم حياته المختلفة . وعدم قدرته على الاستقلالية كما هي في التجارب الأخرى .

بينما يختلف الأمر بالنسبة إلى المجتمعات المتقدمة اقتصادياً . ذلك أن تفكك الأسرة جعل الأبناء يشعرون بالاستقلالية بدرجة عالية . كما أن الآباء يشعرون بتحررهم من مسؤولياتهم نحو أبنائهم . وفي سياق هذه التصورات يمكن القول بأن مظاهر الخلاف بين الآباء والأبناء تنطوي على قدر من تناقص المصالح وعلى قدر من الصراع .

● وتأسيساً على ذلك لابد من التأكيد على مجموعة من

التوصيات التي يمكن إجمالها على الشكل الآتي :

-التأكيد على تعزيز مبدأ وحدة الأسرة كما تعززها الثقافة العربية في مراحلها المختلفة وينسجم ذلك مع ما هو سائد بصورة عامة ويعزز عملية التواصل بين الأجيال ويجعل من الفروق في مستويات الفهم عامر إثراء وتطوير ، وليس عامل صراع وتنافر .

-التأكيد على ضرورة تعزيز الثقافة العربية فيما يخص علاقة الآباء بأبنائهم بما يخص مسؤولياته الدينية والاجتماعية والثقافية والحضارية والرعاية السليمة للأبناء هي الضامن لمستقبل الآباء .

-التأكيد على ضرورة تعزيز القيم الاجتماعية فيما يخص علاقة الشباب مع ذويهم فالاحترام والتقدير وعدم الخروج عما هو مألوف يعد شرطاً أساسياً من شروط وحدة الأسرة وتماسك مكوناتها مما يعود بالفائدة على الأبناء .

-التأكيد على ضرورة التمييز بين خصائص الثقافة العربية بمعالمها الأساسية وخصائص الثقافات الوافدة بما تحمله من اتجاهات وتيارات متنوعة فالتمييز بين الذات والموضوع أساسي في عملية التواصل مع الآخر ومع الثقافات الوافدة ويجنب احتمالات الانجراف مع ما وافد ويجنب في الوقت نفسه احتمالات الجمود والتقوقع نحو الذات .

الشباب والثقافة

أولاً معنى الثقافة:

تعددت معاني الثقافة وتنوعت بقدر اتساع الساحة التي تغطيها النشاطات الثقافية لتشمل كل نواحي الحياة الاجتماعية .

● تأخذ الثقافة عند علماء الاجتماع معاني متعددة :

تايلور هي الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والاعتقاد والفن والقانون والأخلاق والعرف وأية قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه فرداً في المجتمع .

ليبتون :ذلك الكل الذي تداخل أجزائه تداخلاً وثيقاً .

الثقافة من منظور إنساني :ارتبط معنى الكلمة بالأصل اللغوي (culture) في اللغات الأجنبية وهي تعني تعهد النبات وحرثه ورعايته حتى يثمر.

مؤتمر مكسيكو سيتي (1982) م :هي مجموعة السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات .

ثانياً :خصائص الثقافة:

1-تمتاز الثقافة بأنها أول نشاط اجتماعي لأي مجتمع إنساني يكتسبها الفرد بحكم انتمائه لمجتمع معين .

2-الثقافة نشاط فردي، لأن عملية الصقل والتهديب تتعلق بفرد معين، أو مجموعة من الأفراد لكل منهم شخصيته المستقلة، والنتاج الثقافي مرتبط عضوياً بالفرد الذي أبدعه .

3-الثقافة مظهر للوعي الذي يستوعب الإنسان من خلاله العلم، ويفهمه ويجعله قابلاً للتمثل في الذهن أيضاً استجابة لواقع موضوعي قائم خارج الذهن

، ومن خلال العلاقة بين الوعي والوجود، يولد واقع جديد نسيمه الثقافة، التي هي المجتمع نفسه وقد أصبح وعياً .

4- الثقافة ليست كتلة جامدة ولا ماهية ثابتة، ولا عقلية متحجرة، وإنما علاقة توتر مستمر وثمره هذا التوتر الدائم بين الوعي والواقع، والذات والموضوع، والحاضر والمستقبل، وبقدر ما تنجح الثقافة بإعطاء حلول إيجابية لهذا التوتر دون إلغائه، وهو مصدر وجودها، تؤسس لمجتمع مدني وتضفي عليه الاستقرار والتقدم .

5- تشكل الثقافة ضمن النسق الاجتماعي العام، نسقاً فرعياً متميزاً ومستقلاً، يتفاعل مع بقية الأنساق الفرعية الأخرى ويتطور معها وبها . فالثقافة تغذي الأنساق الاجتماعية كلها بقيم مماثلة فتخلق نسيجاً اجتماعياً واحداً قادراً على إعادة إنتاج نفسه، بشكل متكامل في أية نقطة يتعرض فيها لفساد .

6- تقوم الثقافة بتكوين العقل، أي جملة الطرائق والمعايير التي تحكم رؤية الإنسان لواقعه وتنظمها وتحدد كيفية استيعابه لهذا الواقع، عندما تحدد وظائف المنظومات الثلاث :

أ - المعرفية ب المعيارية ج - الرمزية

7- لا توجد الثقافة ولا يمكن أن تزدهر إلا في إطار مجتمع واحد أي إن الثقافة كعملية تاريخية مستمرة هي عملية إنتاج وحدة الجماعة واستمرارها في الوعي، حيث يتطور النسق الثقافي بقدر ما تتطور علاقات الجماعة الداخلية ووحدتها وتواصلها.

الشباب العربي

الدور الثقافي المطلوب

إن فئة الشباب تشكل في الوطن العربي إحدى الفئات الاجتماعية البالغة الأهمية، إن لم نقل إحدى الطاقات البشرية الهائلة التي إذا توفرت لها الظروف المجتمعية الملائمة التي لعبت دورها الطلائعي في المسيرة التنموية للأقطار

العربية وفي تحديد أفاقها المستقبلية المأمولة. نقول هذا لأننا نعلم جيداً أن هذه الفئة، ورغم كل الإجراءات التي اتخذت خلال السنوات الأخيرة بقصد تحسين ظروفها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

لا تزال عرضة لكثير من مظاهر التوتر والقلق الناتجة عن أوضاع الجهل والبطالة والتهميش، فتبعاً لنتائج مختلف الأبحاث والدراسات التي أنجزت في هذا النطاق، يلاحظ أن غياب مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تهتم بالشباب العربي وتطلعاتهم الأساسية لا يزال يسهم في ضياع قدرات هذه الشريحة التي تشكل وبدون منازع طاقة المجتمع ومستقبله وآماله .

● وفي هذا الإطار سيتم التركيز على ثلاثة محاور رئيسية

هي :

- 1-محددات الممارسة الثقافية لدى الشباب العربي .
- 2-مظاهر الممارسة الثقافية لدى الشباب العربي .
- 3-إجراءات الممارسة الثقافية لدى الشباب العربي .

أولاً -محددات الممارسة الثقافية لدى الشباب العربي :

ما هي محددات الممارسة الثقافية لدى الشباب العربي؟

هذا سؤال عام وواسع لأن مصادر الإجابة عنه تهم الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية والتوجهات التربوية والتثقيفية المعتمدة في الوطن العربي .

وتجنباً لأي استطراد أو انزلاق في متاهات الاستحضار المكثف لتفاصيل هذه المصادر، نرى ضرورة التركيز على أربعة مكونات فقط، نفترض فيها إمكانية الإحاطة والإلمام بهذه المحددات وبالتالي توضيح ما المقصود بالمسألة

المطروحة :

1-المحددات الاقتصادية : رغم مرور عدة عقود من الزمن على استقلالها

السياسي، فإن الأقطار العربية لا تزال مهددة بالتبعية الاقتصادية التي تأثر

بشكل من الأشكال على ثقافة المجتمعات العربية، وعلى الممارسات الثقافية لشبابها. وإذا كان من مظاهر هذا التأثير ترسيخ هيمنة قوى الإعاقة والتخلف والخضوع للأمر، فإن غياب مشاريع التنمية الاقتصادية والمخططات العلمية التي تعني بمفهوم الشباب وتطلعاتهم المستقبلية، قد ساعد على تطمس وضائع طاقات وكفاءات هذه الفئة البالغة الأهمية .

فرغم كل المحاولات التي تدخل في إطار العناية بمشاكل الشباب العربي وقضاياهم الأساسية، لا تفي الميزانيات المخصصة لتنمية مهاراتهم الفنية والثقافية بالغرض المطلوب . فالجهات العربية الرسمية على اختلاف خياراتها الأيديولوجية والسياسية، لم تفلح حتى الآن في خلق الظروف والشروط الملائمة لتوجيه هذه الفئة واستثمار طاقاتها ومواهبها.

وهذا ما كان له أثر سلبي على أوضاعها الاجتماعية وممارساتها الثقافية . وقد كان بالإمكان التخفيف من هذه القصور لو تم التركيز على خلق مؤسسات اجتماعية وثقافية وتربوية قوامها تحريض الشباب على الاستئناس بالأنشطة الثقافية التعويضية، وحثهم على ممارسة الأفعال الثقافية الهادفة .

لكن الغياب شبه التام لهذه المؤسسات أدى إلى ظهور قصور واضح في هذا النطاق، حيث أصبح الشباب العربي يفضل الممارسات الثقافية الفردية على الممارسات الثقافية الجماعية المنظمة .

2- المحددات الاجتماعية :

لا جدال في أن ممارسة الشباب للثقافة تجمعها علاقة عضوية بواقع المجتمع واختياراته المختلفة إذ أن أي تحول في مكونات هذا الواقع ينعكس سلباً أو إيجاباً على أبعاد هذه الممارسة وعلى توجهاتها الأساسية . فكلما نجح مجتمع في توفير الظروف الاجتماعية الملائمة لتأسيس ثقافة عضوية تتولد عن ذلك ممارسة ثقافية مطابقة . وكلما فشل في ذلك تسيطر الممارسة الثقافية الهامشية المنعدمة الفائدة والجدوى .

إذا نظرنا إلى خصائص هذه العلاقة من زاوية محلية، يمكن القول أن المجتمعات العربية لم تعد من حيث واقعها الاجتماعي، تلك المجتمعات البسيطة الضيقة في احتياجاتها ومراميها والمحدودة في مطامعها وآفاقها بل إن هذه المجتمعات أصبحت، وبفعل تحولاتها المرحلة وتطلعاتها إلى توظيف التقانات العلمية الحديثة وإلى الانفتاح على المجتمعات المتقدمة، أصبحت موطناً لثقافات متنوعة أسهمت في توسيع الهوية بين المكونات الاجتماعية والمحلية والممارسات الثقافية للشباب. فالأسرة التي تعتبر أول مؤسسة اجتماعية ينشأ فيها الشباب وينهل من تقاليدها الاجتماعية وتعاليمها الثقافية، أصبحت تتعرض في السنوات الأخيرة لعدد كبير من التغيرات التي يحددها أحد الباحثين في ثلاثة مظاهر :

أ- أولها : أن الأسرة العربية لم تعد تمثل تلك المؤسسة الشمولية ذات الوظائف المتعددة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية، بل إن دوره الحالي أصبح جد محدود بفعل ظهور مؤسسات أخرى تنافسها في هذا الدور .

ب -ثانيها : إن هذه الأسرة التي كانت فيما سبق تشكل المؤسسة المركزية أصبحت اليوم مؤسسة محيطية تتأثر بالظروف الاقتصادية والسياسية للمجتمع وتعاني من أزمة حادة في مسؤولياتها ووظائفها. ثالثها أن الأسرة العربية التي كانت في السابق تحظى بنوع من الاستقلال الذاتي أضحت مفتوحة على مصراعيها للتأثيرات الخارجية ولممارساتها الثقافية. تبعاً لهذا التحديد، يبدو أن الأسرة العربية التي تشكل بدون منازع الصورة المصغرة والحية لمكونات المجتمع وتقاليدته المختلفة، أصبحت تتعرض لتغيرات عميقة في بنياتها ووظائفها الأساسية .

فرغم كونها لا تزال تلعب الدور الريادي في تحمل مصاريف تعليم الشباب وتوجيههم، إلا أن هذا لا ينفي مطلقاً الأبعاد السلبية لوظيفتها ، والتي تختلف باختلاف الأوضاع الاقتصادية والثقافية .

وهذه مسألة تؤكد نتائج أغلب الأبحاث والدراسات التي تمت في هذا المجال، إذ أن علاقات الشباب العربي بأوساطهم الأسرية هي على العموم علاقات وصاية واضطهاد وإحباط، يتعذر معها تحقيق الإشباع العاطفي فالتوازن النفسي والاستقلال الذاتي، وبالتالي يستحيل معها تحقيق الممارسة الثقافية المطابقة لمطامح الشباب وتطلعاتهم المستقبلية .

3- المحددات الثقافية :

قد نسلم بأن ارتفاع المستوى الثقافي، الذي يشكل المستوى التعليمي إحدى مؤشرات البارزة، يمثل أحد الشروط الضرورية التي تتزايد معه حاجة الشباب إلى الممارسة الثقافية المطابقة لبنيات المجتمع وثقافته العضوية .

هذا تحديد نموذجي لمفهوم الثقافة ولممارستها كسلوك ثقافي هادف . لكن ما موقع الثقافة العربية من هذا التحديد، وما هي مكوناتها الرئيسية؟ يمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال العنصرين التاليين :

أ- الأول: مفاده أن الواقع الثقافي العربي لا يزال مشوباً بالحضور القوي للثقافة الاستعمارية التي تترجمها مظاهر استمرار سيادة اللغتين الإنكليزية والفرنسية (في المدارس والإدارات والشوارع) على حساب لغتنا القومية . وهذا ما أدى إلى ظهور ثقافة منفصلة عن الواقع الاجتماعي، أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها ثقافة غير مطابقة لواقع المجتمع العربي . فمنطقها مختلف، وتعبيرها مختلف ، وذوقها مختلف عما تعود عليه المجتمع الأصلي وعما يسير عليه عامة الناس، فعوض أن تعكس هذه الثقافة تحولات المجتمع العفوية وأن تتأثر مباشرة بتناقضاته، نجدها هي التي تحاول أن تغير السلوك والذوق والتعبير ليعود المجتمع مطابقاً لمنطقها .

ب - الثاني : مؤداه أن الثقافة العربية، وبشهادة الكثير من الباحثين تشكل نسقاً واسعاً تتعايش داخله وبشكل شبكة من النزاعات والاتجاهات التي يعزوها الائتلاف ويسودها الاختلافات فهناك الثقافة العربية الكلاسيكية التي تمجد

الماضي وتقدسه، وترى في إحدى فتراته الصورة النموذجية التي يجب أن تتجسد في الحاضر والمستقبل. وهناك الثقافة العربية الحديثة التي، وبفعل ازدواجيتها، تعيش في ضياع شبه تام، لأن زمنها الثقافي بعيد كل البعد عن ذاتية الفكر العربي وخصوصياته الحضارية والثقافية. إذن على أساس ما يشبه هذه المفارقات والتلونات، أصبحت الثقافة العربية تشكل موطناً لخليط من التوجهات المتباينة، تسعى إلى تحقيق كل شيء.....وهي في الواقع لا يحقق أي شيء فباسم الأصالة والمعاصرة، نجدها تخلط بين أزمنة ثقافية وممارسات فكرية لا تزيدها إلا الغموض والضياع، حيث تنكص تارة إلى الماضي وتنشد إلى إنتاج السلف لإحياء التراث، وتتطلع تارة أخرى إلى المستقبل، حيث تتشبث بإنتاج الغرب لتحقيق التقدم ولو عن طريق التقليد والتبعية .

وهذا ما يفسر ظاهرة افتقار الشباب العربي إلى هوية ثقافية مطابقة، إذ أن الغموض الذي يسود أوضاعهم السوسيو ثقافية، خاصة على مستوى تنوع مكوناتها وعدم تجانس عناصرها، غالباً ما ينعكس سلباً على ممارساتهم الثقافية .

4- المحددات التربوية :

سبقت الإشارة إلى أن الأسرة العربية لم تعد تمثل المؤسسة الوحيدة ذات الدور الفعال في تنشئة الشباب وتهيئتهم للمستقبل، بل إن مؤسسات أخرى أصبحت تنافسها في هذا الدور، وفي مقدمتها المؤسسات التعليمية والثقافية . والسؤال الذي يطرح هنا هو إلى أي حد أفلحت هذه المؤسسات الأخيرة في تكوين الشباب وإعدادهم لممارسة ثقافة مطابقة وهادفة ؟ رغم ما قد تستدعيه الإجابة عن هذا السؤال الواسع من كثافة في الوقائع والمعلومات، لأن الأمر يهم السياسات التعليمية العربية بأكملها، فإن اهتمامنا لن يتجاوز في هذا الإطار حدود استحضار مسألتين اثنتين نفترض فيهما إمكانية الإحاطة النسبية

بعضامين الإشكالية المطروحة :

أ-أولاهما:

تتعلق بكون أن الأنظمة التعليمية في الوطن العربي، ورغم الإصلاحات المتتالية الهادفة إلى تحسين وسائلها ومسالكها لا تزال تشكو من نواقص وقصورات كثيرة. فبرامجها التكوينية تبدو غير ملائمة، إن لم نقل متجاوزة وذلك بفعل جمودها وفشلها في تحقيق رغبات الشباب وتطلعاتهم المعرفية والثقافية والمهنية. فنتيجة افتقارها إلى المعدات والوسائل التربوية اللازمة، وبفعل البطالة التي تنتظر خريجها، نجد المدارس والمعاهد والجامعات المطبقة لهذه الأنظمة تخط في مشاكل كلها تعبير وتجسيد لمحدودية وظائفها في مجال تكوين الشباب وتثقيفهم وتأهيلهم لميادين العمل والإنتاج .

ب – وثانيتها: ترتبط بازدواجية التكوين، إذ أن الأنظمة التعليمية في الوطن العربي، أنظمة تبنى على منهجين مختلفين، ومنهج عصري متخصص يزاوج أحياناً بين اللغتين العربية والانكليزية أو بين اللغتين العربية والفرنسية، وأحياناً أخرى يقتصر على إحدى اللغات الأجنبية (الفرنسية أو الانكليزية). وخاصة حينما يتعلق الأمر ببعض العلوم المستحدثة كالإعلاميات فازدواجية التكوين، وما يصاحبها من مظاهر الفصل بين العلوم الموروثة والعلوم الحديثة هي التي تركز ظاهرة الانفصام بين الثقافة والمجتمع، وبالتالي مظاهر التعارض في الأهداف بين الشباب الممارس للثقافة التقليدية والشباب الممارس للثقافة الحديثة، حيث لا تعرف الفئة الأولى حدود العلم الحديث وتجهل الفئة الثانية حدود الآداب التقليدية .

ثانياً - مظاهر الممارسة الثقافية لدى الشباب العربي :

ما هي مظاهر الممارسة التقليدية لدى الشباب العربي؟
قد لا نجب الصواب إذا اعتبرنا أن هذه المظاهر تشكل الانعكاس الطبيعي لمحددات الثقافة العربية ومكوناتها الرئيسية. نقول هذا لأننا نعتقد أن أي تحول أو تغير في هذه المحددات سينعكس سلباً أو إيجاباً على ثقافة المجتمع وعلى مظاهر ممارستها من لدن الشباب .

• وهي المظاهر التي تقترح اختصارها في أربع سمات أساسية

1-اللاتجانس الفكري واليأس الثقافي :

تتخلل بنيات المجتمع العربي وأطره المرجعية تناقضات صارخة .هذه مسألة لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها، لأن مصادر تأكيدها وإثباتها كثيرة ومتنوعة ، فبفعل تعدد أنماطه الاجتماعية وتذبذب أنظمتها التربوية وتنوع خلفياته الفكرية والأيدولوجية، نجد أن هذا المجتمع مسرحاً لغموض عميق تترجمه على الخصوص مظاهر التباين والتناقض بين القيم والمبادئ بين الشعارات والإنجازات بين التصرفات والممارسات .

والحقيقة أن الشباب الذي ينشأ في مجتمع يحفل بكل هذه التناقضات، لابد أن يبدو شاباً متخبط المفاهيم والأفكار، ومتذبذب التناقضات والتصرفات، تحكم في ممارساته الثقافية ثنائيات متباينة المضامين والأهداف، تتراوح بين الخرافية والعلمانية، بين الأصالة والمعاصرة، بين الانغلاق والانفتاح ..إلخ .

فتارة نجده يبدي استياءه المطلق تجاه الأوضاع الثقافية السائدة، حيث ينتقد مضامينها وأنماطها ويرفض مظاهر استلابها واغترابها وتارة أخرى نلاحظه يعبر عن استسلامه ورضاه على هذه الأوضاع، حيث يقبلها كما هي، ولا يعير أي اهتمام لسبل تجاوز واقعه الثقافي المأزوم .

وفي اعتقادنا أن هذا التذبذب بين الرفض والاستسلام هو الذي يعزز مظاهر اللاتجانس الفكري واليأس الثقافي التي يتخبط فيها الشباب العربي وتنعكس سلباً على ممارسته الثقافية .

2-الجهل بالواقع الثقافي والمحدودية المعرفية :

إن الشباب العربي، وبفعل محدودية معرفته بالواقع الثقافي العام وتواضع تكوينه التربوي والعلمي، يبدو عاجزاً عن بلورة ممارسة ثقافية مطابقة لطموحاته الراهنة وتطلعاته المستقبلية .فعلى أساس محدوديته المعرفية ولا منطقية تحليله للظروف الثقافية السائدة، نجده وفي أحسن الأحوال، يتردد بين

اتجاهات ومواقف متباينة، ويبدو غير واثق في تصرفاته وممارساته الثقافية . وبالتالي غالباً ما يسقط في فخ الاعتناق اللا مشروط للمذاهب الجاهزة التي تظهر في الساحة الثقافية العربية بين الحين والآخر .

3-التردد بين التماثل والاختلاف: يشكل تردد الشباب العربي بين الميل إلى التماثل والاندماج وبين الرغبة في التمايز والاختلاف الثقافيين أحد المظاهر البارزة لممارساتهم الثقافية .فهناك من جهة أولى ميل هؤلاء إلى تجاوز الماضي وتخطي واقعه المأزوم عن طريق الاشتراك مع الآخر(الأجنبي) في حضارته وثقافته ولغته ونمط عيشه .وهناك من جهة أخرى رغبة هؤلاء في التثبث بالماضي وأصالته والدفاع عن الهوية الثقافية عن طريق التمايز والاختلاف عن الآخر وعن مقوماته الحضارية والاجتماعية والثقافية .

4-التردد بين التفاؤل والتشاؤم :

الرجع أن تطلع الشباب العربي إلى المستقبل الثقافي المرغوب ويبقى مشوباً بالحذر والاحتياط الكبيرين .فبفعل تردد هؤلاء بين التفاؤل والتشاؤم بين الأمل واليأس، بين النزوع إلى التغيير والاستسلام للأمر الواقع نجد تطلعاتهم الثقافية مطبوعة بالتذبذب بين الانفتاح والانغلاق، بين التماثل والاختلاف بين التسليح بالمعاصرة والتثبث بالأصالة .

والواقع أن تطلعات من هذا القبيل لدليل واضح على التباس الهوية الثقافية وضياعها بين واقع الذات المرفوض وواقع آخر البعيد المنال .

ثالثاً - إجراءات الممارسة الثقافية لدى الشباب العربي :

تبدو ممارسة الشباب العربي للثقافة ممارسة ملتبسة في مضامينها ووظائفها وفي توجهاتها وآفاقها .إذا كانت هذه هي الخلاصة البارزة التي خرجنا بها من التحليل السابق، فإن السؤال المطروح هو : ما الإجراءات المحتملة لتجاوز هذه الوضعية(المأزومة)؟

بمعنى ما هي الإجراءات الواجب اعتمادها لتمكين الشباب العربي من ممارسة ثقافية عضوية .

تستجيب في توجهاتها وآفاقها لمطامح وتطلعات هؤلاء وتطابق في مضامينها ووظائفها مع بنيات المجتمع وتحولاته العفوية؟

● كإجابة عن ذلك يمكن اختصار هذه الإجراءات في ثلاثة

أبعاد :

أ - يتجلى أولها في كون أن ممارسة الشباب العربي للثقافة تبقى مشروطة بعوامل عديدة، وفي مقدمتها عامل عروبة الفكر واللسان . فنحن لا نتصور ممارسة ثقافية حقيقية مطابقة لواقع المجتمع العربي ولروح الحضارة وثقافة العضوية، إلا إذا كانت بلغتنا القومية .

نقول هذا لأننا نعتقد أن الممارسة الثقافية التي يتطلع إليها شبابنا لا يمكن لحالها أن يستقيم في غياب التوظيف الجيد للغة العربية التي تشكل وبدون منازع إحدى المحددات المرجعية الأساسية لهويتنا الثقافية.

ب - يتمثل ثانيها في كون أن الممارسة الثقافية التي ننشدها لشبابنا لا يجب ولا ينبغي أن تقتصر على فئة دون أخرى، بل المفروض هو أن تنسحب على جميع فئات الشباب وبغض النظر عن الموقع الجغرافي والمستوى الاقتصادي والوسط الاجتماعي . إنها الممارسة التي تستدعي إعادة المنظر في مناهجنا التعليمية وبرامجنا التثقيفية حتى تتساق مضامينها مع مطامح شبابنا وتطلعاتهم المستقبلية .

ج - ويتحدد البعد الثالث في كون أن الممارسة الثقافية التي ندعو إليها هي بالأساس لا تخرج من نطاق تلك الممارسة الخلاقة التي تزواج بين التوافق النفسي والاندماج الاجتماعي، وبين المواقف الفكرية والممارسات العملية إنها الممارسة التي نجدها . وعوض الانشداد إلى الثقافة، إما في بعدها الموروث أو في بعدها المستورد. تسعى إلى تحقيق التواصل بين الماضي والمستقبل في

إطار استمرارية خلاقة قوامها استيعاب العلوم والمعارف الحديثة وبالتالي بلورة مشروع ثقافي هادف يتطابق من حيث مضامينه وتوجهاته، مع مطامح الشباب العربي وتطلعاتهم الأساسية .

عبدة الشيطان

أصل عبدة الشيطان إلى الديانة الوثنية التي ظهرت في أوروبا في بداية القرن الثالث عشر لكن تم حرق أعضائها لاقتلاع جذورهم .
أما ظهورهم حديثاً فيعود إلى يهودي من أصل أمريكي اسمه (أنطوان تليدر ليفي) عام 1969 م حيث قام بتأسيس معبد للشيطان في سان فرانسيسكو وظل يدعو إلى عبادة الشيطان ووصلت دعوته إلى أوروبا وأستراليا .
دخلت إلى الوطن العربي عن طريق جماعة (الهييز) تعد ألمانيا أكثر الدول التي يمارسون فيها نشاطهم .

● توجد تسع وصايا لهم هي :

- 1- الشيطان يمثل الانغماس الذاتي وإطلاق المرء العنان لأهوائه ورغباته وشهواته .
- 2- الشيطان يمثل الحكمة غير المشوهة وغير الملوثة .
- 3- الشيطان يمثل التواجد الحقيقي بدلاً من الأمل الكاذب الوهمي .
- 4- الشيطان يمثل الانتقامية .
- 5- الشيطان يمثل الشفقة لمن يستحقها .
- 6- الشيطان يمثل أشرس الحيوانات التي تمشي على أربعة .
- 7- الشيطان يمثل المسؤولين اتجاه الشخص المسؤول بدلاً من مصاصي الدماء المعتوهين .
- 8- الشيطان يمثل كل الخطايا لأنها تؤدي إلى الإشباع العاطفي والجسدي .
- 9- الشيطان يمثل أعز صديق للعبد لأنه الأبقى .

عبدة الشيطان يعبدون الشيطان ويعتبرونه ربهم ,ويتقربون منه ,ويدعون أنهم يحصلون على قوة شيطانية عند ممارسة طقوسهم.

ما هو فكرهم حول الإنسان؟

يقولون بأن الإنسان ما هو إلا صورة مصغرة عن الكون ,ذلك الكون أبدي أزلي ,وبناء عليه فالإنسان أزلي ,أبدي ,إنه لا بداية له ولا نهاية .
يقولون أنه يتوجب على الإنسان أن لا يخاف الموت فالموت ليس النهاية ,لكنه نقطة الانطلاق إلى حياة جديدة .

يقولون بأنه لا يوجد ما يسمى خطيئة أو شر ,وبما أنه لا خوف من الموت ولا يوجد لمعنى الحقيقة ,إذاً فالانتحار ليس خطيئة ,ولا يعتبر تقديم الذبائح البشرية جريمة أو قتلاً .

غاية الصلاة عندهم هي الوصول إلى النور وذلك عن طريق الدخول في حالة النشوة والكمال والصفاء الذهني ,وللوصول إلى هذه الحالة يستخدمون الموسيقى أو الخمر أو المخدرات والعقاقير والممارسات الجنسية الطبيعي منها والشاذ ,الفردى والجماعى .

كيف يصل المتعبد إلى النور؟

عن طريق السمع الموسيقى ,البصر ,الضوء ,التواجد الجماعى ,تهيج المشاعر .

الموسيقى : خاصة موسيقى الروك هي المفضلة لديهم في اجتماعات العبادة والصلاة (الضوضاء العالية جداً) مع المخدرات والخمر تصل بالإنسان إلى شل مقاومته الطبيعية وبذلك يصلون إلى حالة من النشوة والكمال الذهني التي تصل به إلى النور .

الضوء :

أو التعاقب السريع جداً بين الإضاءة المبهرة والظلمة الحالكة ,وهذا يفقد الإنسان القدرة على التركيز وبالتالي شل المقاومة الطبيعية لديه .

التواجد الجماعي :

حيث يقوم القادة بإلقاء الرسائل الإيحائية في هذا الجو المرعب ,تلك الرسائل التي تهيج مشاعر المتعبدین المجتمعين بالمئات ثم يأتي دور الجنس ,وبهذا يعتقدون يصلون إلى النور .

●الإشارات والرموز التي يتميز بها عبدة الشيطان

- ◊ ويتم على اليد أو الجسد لأشكال الشيطان ,وعلى الرقبة نجمة وعلى الرأس رقم 666 وهم كما يدعون رقم الشيطان .
- ◊ الوشم أقراط أو سلاسل ذات أشكال معينة .
- ◊ رسوم جنسية أو رسم لجمجمة والعظمتان علامة خطر الموت .
- ◊ أساور وقلادات وخلاخيل ذات تصميمات معينة تشير إلى أمور خاصة بعباداتهم.

من هم المستهدفون للانضمام إلى هذه الجماعات؟

الشباب - الرجال - النساء.

كيف يتم جذبهم؟

- ◊ تقدم لهؤلاء الشباب دعوات لحضور حفلات عامة أو خاصة ,وبالطبع لا تظهر كل أشكال ومظاهر العبادة الشيطانية في هذه الحفلات .
- ◊ يتم تقييم الأفراد الجدد وفرزهم وانتقاء المناسب منهم ثم يتم التعرف عليهم وتعريفهم بالجماعة تدريجياً ,حتى يصبح العضو الجديد جاهز للانضمام الكلي للجماعة .

◊ بعض طقوس الانضمام تكشف الجماعة عن كل ممارساتها الشيطانية للعضو الجديد ,الذي يجد نفسه متورطاً تماماً مع الجماعة فلا يستطيع أن ينسلخ منها بعد ذلك .

كيف يتم انضمام العضو الجديد للجماعة؟

تختلف الطقوس من جماعة إلى أخرى، فهناك من يعرضون الأعضاء الجدد للاختبارات قاسية لإثبات ولائهم للجماعة وهناك من يطلبون منهم القيام بأعمال معينة كشرط لانضمامهم، وهذا بعد أن ينجح العضو الجديد في هذه الاختبارات يجري له طقس الانضمام وهو يشبه إلى حد كبير ممارسة المعمودية في المسيحية حيث يسكب دم أو ماء قذر على رأسه ثم يقسم قسم للانضمام وفيه يقر أنه يخصص حياته لخدمة الشيطان وطاعته والبقاء عبداً له طوال حياته، وبعد هذا يرتدي العضو الجديد الشارات والرموز الخاصة بهم .

● بعض طقوس عبادتهم :

التأمل في إضاءة خافتة مع البخور لإضفاء نوع من الخشوع على المتعبدین .
القداس الأسود وفيه يتكلمون على الله وعلى المسيح ويشتمونه فيما يشبه الترانيم .

ويقومون بكسر الصليب وقلبه وحرق أكبر عدد ممكن من الكتب المقدسة التي تصل إليها أيديهم ، ويقدمون الذبائح المشوية وهم يتعاطون الخمر والمخدرات ويمارسون كل أنواع الجنس (الطبيعي والشاذ)

ويعلمون رفضهم الله وطرفه ويعملون كل ما يأمرهم به إبليس إلههم .
يرتبط لديهم اللون الأسود بالشر والموت والسحر .

جماعة منظمة بشكل جيد وتتلقى مساعدات رسمية موجودة في معظم الدول الأجنبية والعربية.

ظهروا في مصر عام 1996 – 1997

أيها الشيطان خذ روحي و يا غضب الإله دنسها بالخطايا وباركها بالنار لابد من الموت . الانتحار... لابد من الموت .